V501

كتاب كنه المراد في بيان بانت سعاد
للعالم العلامه العمدة الفهامه
شهاب الدين احمد بن حجر
الهيتمي المكي الشافعي
رحمه الله تعالى
امين
م

BIBL.
VNIVERS.
LIPS.

D. C. 104.
52 Bl.

شرح بانت سعاد للامام العلامه ابن حجر المكي الهيتمي رحمه الله تعالى ونفعنا به وللمسلمين اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها ابرك كعب
وانطقه بذكر سعاد وتفاول تفاولا من الاسعاد بما
سهل عليه من طرق الرشاد كل صعب وافاض على المداح
صيب سيله المنهمر فمن مغترف بكف وماتح بدلو وناتح
بغرب واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
يجنب قائلها موارد الاكدار ويحمي منتحلها عن مواقع السوء
في الدارين فيتحقق الرما من السيف وتصون الوجوه من النار
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جذب بمغناطيس
القلوب محبته القلوب فالفها بعد النفار وعرف بالعفو
والصفح لذي المقدرة فامن الخائف واسرع اليه المعاد وعلى
اله واصحابه الذين بايعوا في محبته الاخلاد فسموا الى رتب
الكمال وتنوعت في تطلب رضا مقاصدهم فمن مادح بلسان
وزايد بسيف وجاين بمال صلاة تفوق ببهجتها جميع المدائح
ويترقب لها اسنى الجوائز فيظهر قائلها باكرم المنائح وبعد
فلما كان المدح ارفع مقاصد الشعر واعلاها وانفسها واغلاها
اذ هو راس مال الشاعر الذي يعول عليه ومقصده الذي
يرجع في التوسل للمقاصد السنية اليه وكان مبناه على
المبالغة في الذي لا يليق بمقام النبوة تعاطيه مجافيه
عما لا يليق بجلالة قدره وعوضه سبحانه من ذلك بان جعل كثيرا
مطبقين على مدحه مسارعين اليه متشوقين في الاكثار منه
متكبين عليه حتى ملئت بمدحه الدواوين وشحنت منها الدفاتر
وجفت بكثرته الاقلام ونفدت دون نفاده المحابر وكانت قصيدة
كعب

الغرب الدلو الكبير

كعب ابن زهير المعروفة ببانت سعاد هي انفس المدائح عقدا
واعلاها مقاما واعذبها وردا اذ انشدت بين يديه صلى الله عليه
وسلم فنالت اعلا المفاخر وفضلت بالتقدم في الفضل على ما يعزها
ما ترك الاول للآخر وكانت الشروح الموضوعة عليها فيما وقفت
عليه قاصرة على شرح غريبها واعراب الفاظها المؤدية الى
حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هي مقصد طلابها واعرضت
مقتصرا على شرح غريبها واعرابها اقتضت اشارة بعض اخواني
في الله تعالى ممن تاثر طاعته ولا يسع مخالفته ان اقتضت
عليها شرحا يجمع الى حل الفاظها وبيان معانيها وتقريب ما يعز
تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها فاستخرت
الله تعالى وبادرت اليها اشارة على الوجه الذي يقصد والمعنى
الذي يريد متيمنا في ذلك وراي السعيد سعيد **وسميته كنه المراد
في بيان بانت سعاد** والى الله تعالى ارغب ان يجعله وسيلة الى الممدوح
بها في الشفاعة في الحشر وامانا من النار اذا اشتد الخوف يوم الفزع
الاكبر وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب تمهيد ولا بد للمتصدي عن
هذه القصيدة قبل الخوض في شرحها من الاحاطة بثلاث مقاصد
المقصد الاول في ترجمة ناظمها رضي الله تعالى عنه هو ابو المضر
كعب ابن زهير ابن ابي سلمى بضم السين واسمه ربيعة ابن رباح
بالراء المهملة والياء اخر الحروف المزني من مزينة ابن اد ابن طابخة
ابن الياس ابن مضر ابن معد ابن عدنان قال الحافظ ابو عمر ابن
عبد البر رحمه الله تعالى وما وقع من انتها هذه النسبة الى غطفان
غلط مستنده ان زهيرا وبنيه كانت محلتهم بني غطفان فوقع
الظن انهم منهم **قال** كان كعب رضي الله عنه من فحول شعرا
العرب المجيدين والمعرى المفلقين ومن مستحسن شعره **يقول**

لو كنت اعجب من شي لاعجبني ۝ سعي الفتى وهو مخبو له القدر ۝

يسعي الفتي لامور ليس يدركها • والنفس واحدة والهم منتشر •
والمرء ما عاش ممدود له امل • لا تنتهي العين حتي ينتهي الاثر •

ومن شعره

فان تسالي الاقوام عني فانني • انا ابن ابي سلمي علي رغم من رغم •
بليغ انا ابن الذي قد عاش تسعين حجة • فلم يخز يوما في معد ولم يلم •
اقول شبيهات بما قال عالما • بهن ومن يشبه اباه فما ظلم •

المقصد الثاني في سبب نظمه في هذه القصيدة ذكر اصحاب السير انه كان لكعب اخ اسمه بجير فخرج هو واخوه الي ابرق العراق وهو رمل بالحجاز لبني سعد بالقرب من زرود فقال بجير لكعب اثبت في الغنم حتي اتي هذا الرجل يعني النبي صلي الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضي بجير فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فسمع كلامه فامن به وذلك ان زهيرا اباهما فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب وسمع منهم انه قد آن مبعث النبي صلي الله عليه وسلم الذي يبعث في اخر الزمان وراي زهير في منامه انه مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فتناوله النبي صلي الله عليه وسلم وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوا ذلك وهو النبي صلي الله عليه وسلم ان يسلموا فاسلم بجير فعند ذلك شق اسلام بجير علي اخيه كعب فكتب اليه بهذه الابيات

الا ابلغا عني بجيرا رسالة • فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا •
سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا •
ففارقت اسباب الهدي وتبعته • علي اي شي ريب غيرك دلكا •
علي مذهب لم تلق اما ولا ابا • عليه ولم تعرف عليه اخا لكا •
فان انت لم تعرف فلست باسف • ولا قايل انما عثرت لعلكا •

وارسل بها الي بجير فلما وقف عليها اخبر بها النبي صلي الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم قوله سقاك بها المامون قال مامون والله وكانوا يسمون رسول الله صلي الله عليه وسلم الامين فقال من

لقي

لقي كعب ابن زهير فليقتله فكتب اليه اخوه بجير هذه الابيات **شعر**

من مبلغا كعبا فهل لك في التي • تروم بها باطلا وهي احزم •
الي الله لا العزي ولا اللات وحده • فتنجو اذا كان النجاة فتسلم •
لدي يوم لا ينجو وليس بمفلت • من الناس الا طاهر القلب مسلم •
فدين زهير وهو لا دين دينه • ودين ابي سلمي علي محرم •

وكتب بعد هذه الابيات يخبره ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد اهدر دمه وانه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويوذيه وان من بقي من شعرا قريش كابن الزبعري وهبيرة ابن وهب قد شردوا في كل جهة وما احسبك ناجيا فان كان لك في نفسك حاجة فطر اليه فانه يقبل من اتاه تائبا ولا يطالب بما تقدم في الاسلام فلما بلغ كعب الكتاب اتي الي قبيلة مزينة ليجيره من رسول الله صلي الله عليه وسلم فابت ذلك فضاقت عليه الارض بما رحبت واشفق علي نفسه وارجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتي وصل الي المدينة فنزل علي رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فاتي به الي المسجد ثم اشار الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقم اليه واستامنه وعرف كعب رسول الله صلي الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه له بها الناس وكان مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم من اصحابه مثل موضع المايدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل علي هولاء فيحدثهم ثم يقبل علي هولاء فيحدثهم فقام اليه كعب حتي جلس بين يديه فوضع يده في يده ثم قال يا رسول الله ان كعب بن زهير جا ليستامن منك تائبا فهل انت قابل منه ان انا جيتك به قال نعم قال يا رسول الله انا كعب ابن زهير فقال الذي يقول ما يقول ثم اقبل علي ابي بكر فاستنشده الشعر فانشده ابو بكر سقاك بها المامون كاسا روية البيت

فقال لم اقل هذا وانما قلت سقاك ابو بكر بكاس روية وانهلك المامون فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم مامون والله فوثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال دعه عنك فانه قد جاء تايبا فازعا ثم انشد القصيدة بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يسمع وفي رواية ابي بكر ابن الانباري انه لما وصل الي قوله ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول نفشها رمي رسول الله صلي الله عليه وسلم بردة كانت عليه وان معاوية ابن ابي سفيان رضي الله تعالي عنه بذل له فيها عشرة الاف درهم فقال ما كنت اوثر بثوب رسول الله صلي الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب رضي الله عنه بعث معاوية الي ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الي اليوم وفي الاستيعاب لابن عبد البر انه لما بلغ الي قوله انبيت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مامول اشار رسول الله صلي الله عليه وسلم الي من حوله ان اسمعوا

المقصد الثالث في بيان ترتيب هذه القصيدة وسيقتها التي سيقت عليها اعلم انه كانت عادة اكثر شعراء العرب انهم اذا قالوا قصيدة في مدح افتتحوها بالنسيب وهو المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من اهل الادب يشتمل علي اربعة انواع النوع الاول ذكر ما في المحب من الصفات التي هي اسباب المحبة الدالة علي المحبة كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق ونحو ذلك النوع الثاني في ذكر ما في المحبوب من الصفات التي هي اسباب المحبة سوا كانت حسية كحمرة الخدود ورشاقة القد وما في معناهما او معنوية كالجلالة والخفر وما اشبه ذلك ويسمي هذا النوع من النسيب تشبيبا ايضا النوع الثالث في ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل وسلوي واعتذار ووفا واختلاف ونحو ذلك النوع الرابع في ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقبا ونحوها

ونحوهما قال الناظم رحمه الله تعالي قد اتي في قصيدته قبل التخلص الي المدح بالانواع الاربعة وذلك ان القصيدة اشتملت علي سبعة وخمسين بيتا فابتدا بالنوع الاول بذكر حال نفسه وما عراه بسبب الفراق في البيت الاول بقوله بانت سعاد ثم اخذ في ذكر النوع الثاني وهو ما يتعلق بمحبوبه فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات في البيت الثاني بقوله وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا اغن البيت ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح في البيت الثالث ثم ذكر مزج الراح بالماء واستطرد فوصف ذلك بالماء ثم الابطح الذي اخذ منه الماء في البيت الرابع ثم اكمل وصف ذلك الابطح في البيت الخامس ثم اخذ في ذكر النوع الثالث وهو ما يتعلق بهما جميعا فذكر اخلافها الموعد وعدم قبولها النصح في البيت السادس بقوله اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها البيت ثم اكمل ذلك في البيت السابع ثم وصفها بالتلون في الود في البيت الثامن ثم وصفها بعدم الوفا بالعهد في البيت التاسع ثم اكد بعد ذلك فاخبر بان ما تدعي اماني لا حقيقة لها في البيت العاشر ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا في البيت الحادي عشر ثم لام نفسه بالتعلق بمواعيدها في البيت الثاني عشر ثم ذكر بعد ما بينه وبينها من المسافة في البيت الثالث عشر ثم ذكر انه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كذا وكذا واطال في وصفها علي عادة العرب في ذلك من اول البيت الرابع عشر الي اخر البيت الثاني والثلاثين فاستوفا في وصفها تسعة عشر بيتا ثم اخذ في ذكر النوع الرابع وهو ما يتعلق بغيرهما بسببهما فذكر الوشاة وحالهم معه في البيت الثالث والثلاثين بقوله يسعي الوشاة البيت واستطرد في ذلك الي اخر البيت الخامس والثلاثين وهو اخر الغزل ثم تخلص الي المدح في البيت السادس والثلاثين بقوله انبيت ا ب

رسول الله اوعدني البيت واستطرد في ذلك الي اخر البيت الثامن والاربعين
ثم شرع الي مدح المهاجرين من اصحابه رضي الله عنهم في البيت التاسع والاربعين
ولم يتعرض فيها لمدح الانصار قيل لانه وجد في نفسه من الذي قال منهم
دعني يا رسول الله وعدو الله اضرب عنقه علي ما تقدم ذكره فان صح ذلك
فيكون قوله زولوا للوقف ولا يبعد ذلك لان من فحول الشعرا علي ما تقدم
ذكره خصوصا وقد حصل له الامداد النبوي والاسعاد المحمدي ويقال
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير
فان الانصار لذلك اهل فقال شعر

في قوله في فتية من قريش البيت
واستطرد في ذلك الي اخر البيت
السادس والخمسين وهو اخر
القصيدة صح

من سره كرم الحياة فلا يزل ۔ في معقب من صالح الاذكار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ۔ ان الخيار هم بنوا الانصار
المكرمين بالسمهري باذرع ۔ كسوالف الهندي غير قصار
والبايعين نفوسهم لنبيهم ۔ الموت يوم تعانق وكرار
والناظرين باعين محمرة ۔ كالجمر غير ليلة الابصار
يتطهرون بروية ۔ بدماء من علقوا من الكفار

في ابيات احترزت كتبها خوف الاطالة واختصرت علي ذلك

البيت الاول

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ۔ متيم اثرها لم يفد مكبول

يقال بانت المراة من زوجها اذا فارقته وهو معروف في عرف الشرع بالطلاق غير الرجعي وسعاد اسم لمحبوبته التي هي مطلع القصيدة علي التشبب بها والتغزل فيها كما كان مجنون ليلي يشبب بليلي واكرمه يشبب بمي وقيس يشبب بلبني وكثير يشبب بعزة الي غيرهم من المتيمين في الجاهلية والاسلام والقلب في كلامه يحتمل معنيين الاول ان يريد به الفواد وهو الظاهر ومنه قوله تعالي وختم علي سمعه وقلبه ومحله من البدن الصدر قال تعالي فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ومحله من الصدر الجانب الايسر منه قال بعض اهل الحقايق وهذا هو السر في كون الطايف يجعل البيت علي يساره ويطوف لان القلب كالملك في الجسد والبيت كالملك في الارض فاذا جعل البيت علي يساره وطاف كانه قد جمع بين الملكين في جهة واحدة قال اهل التشريح وهو جسم صنوبري الشكل لحمي الجوهر له جوف لمجري الدم والروح الحيواني ومنه ينصب في الشرايين وهي عروق دقاق فيسري منها الي جميع البدن وبينه وبين الدماغ شعبة دقيقة متصلة بعناية منبثة في جميع جرمه يدرك به القوي الحيوانية التي تنفعل بالانفعالات النفسانية كالغضب والخوف والحزن والسرور بواسطة ان الحواس يدركها من الخارج فتوديها الي النفس فتصل اثارها بالقلب فينفعل عنها قال الغزالي في الاحيا وهذا القلب لا تعلق له بالاغراض الدينية وانما يتعلق به غرض الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل للميت فانه قطعة لحم لا قدر لها وهي من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الادميين بل المراد بالقلب عندنا لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف وهو المخاطب والمطالب والمعاقب قال وقد تحار عقول اكثر الخلايق في ادراك وجه علاقتها بالقلب الجسماني فان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بها او المتمكن بالمكان الثاني ان يريد بالقلب العقل كما في قوله تعالي ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب ويكون المعني حينيذ ان عقله من شدة الحب وغلبة العشق قد ضعف حتي صار كالولهان الهايم الذي لا يفيق ولا يصحي واليوم المراد به هنا مطلق الزمان كما في قوله تعالي واتوا حقه يوم حصاده وقوله يومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا ونحو ذلك والمتبول بفتح الميم واسكان التا المثناة من فوق وضم البا الموحدة الفاني من شدة الضنا والسقم يقال تبله الحب واتبله اذا اسقمه وتبلهم الدهر واتبلهم اذا افناهم قوله متيم اثرها لم يفد مكبول

اي فقلبي اليوم متبول علي ما تقدم متيم اثر سعاد ولم يفد من اسرها مكبول
في هواها والمتيم المستعبد الذليل يقال تيمه الحب وتامه اذا استعبده
وتامه واذله والمراد هنا الاسر بدليل قوله فيما بعد لم يفد والاثر في كلامه
بكسر الهمزة واسكان الثاء المثلثة محل المشي وموضع القدم من الارض
ويقال فيه اثر بالتحريك كقوله تعالي ونكتب ما قدموا واثارهم ومعني لم يفد
لم يقع له فدا من اسره الذي وقع فيه اما بمعني انه لم يجد من يفديه ويخلصه
من الاسر واما بمعني انه لم يختر الفدا بل كان اسر المحبة اليه احب ويروي لم يشف
بدل لم يفد بمعني انه بقي تبل قلبه ومرضه لم يحصل له شفا منه ويهون ذلك
عليه عايد علي قوله متبول متيم متبول لا علي قوله متيم والمكبول بفتح الميم
واسكان الكاف وضم البا يحتمل تفسيرين احدهما ان يريد به المقيد يقال كبل
الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا قيده الثاني ان يريد به المسجون يقال
كبله بالتخفيف اذا حبسه في سجن او غيره والمعني ان قلبه بسبب فراق
محبوبته صار في غاية الضنا والسقم والاسر والذل والقيد والسجن
لا يجد له هربا من الاسر ولا فكاكا من الرق وذلك انه لما كان مبني ابتدا هذه
القصيدة علي الغزل والنسيب جريا علي عادة اكثر الشعرا في ابتدا قصايد
المدح بمثل ذلك علي ما تقدم ذكره في مقدمة هذا الشرح وكان من جملة
انواع النسيب ذكر ما في المحب من صفات المحبة والتعشق ونحوه علي ما
تقدم بيانه من ان تاجيج نار المحبة وتهييج بلابل الشوق انما يعظم
وينشا عند حصول الفراق صدر كلامه بذكر الفراق المقتضي ذلك ليرتب
عليه ما ياتي عليه من لوازم المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة
من اشد الالام واعظم الاحزان وناهيك ما اخبر الله تعا به عن يعقوب
عليه السلام في فراقه ليوسف بقوله فتولي عنهم وقال يا اسفي علي يوسف
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قيل ما جفت عينا يعقوب عليه السلام
من حين فراق ليوسف الي حين لقايه ثمانين عاما ورحم الله القايل

اني لاكره ان انام فالتقي   بك في الكرى خوف الفراق الثاني

ويروي

ويروي ان الحسين رضي الله عنه بكا علي ولد او غيره فقيل له في ذلك
فقال ما رايت الله تعالي جعل الحزن عارا علي يعقوب ومن المعاني المستحسنة
ما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعني اللقا وتصفر عند الغروب لمعني الفراق
ولذلك يشير ابو العباس الضبي بقوله

لا تركنن الي الفراق   فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها   تصفر من الم الفراق

ومن كلام بعضهم ما خلق الله الفراق الا لتعذيب العشاق وكان يقال حق الفراق
ان تطير له القلوب وتطيش معه العقول وتطيح معه النفوس ويقال هول
السياق اهون من الم الفراق ومن كلام النظام لو كان الفراق صورة لراعت
القلوب وهدت الجبال ولجمر الغضا اهون توهجا من نار الفراق ولله در ابو تمام
الطايي حيث يقول

لو حار مرتاد المنية لم يجد   غير الفراق الي النفوس دليلا
انا نظرت الي الفراق فلم اجد   للموت لو فقد الفراق سبيلا

وما احلي قول الطغرايي شعر

اني لاذكركم وقد بلغ الظما   مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم   قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم لما ذكر الفراق اشار الي ان قلبه عرض له بسبب ذلك عوارض من نقصانات تحجب
تاثيرها وخص ذلك بالقلب دون ساير الجسد اشارة الي ان القلب هو المؤثر بالمحبة
وعنه تنشا عوارضها من الضنا والسقم وغير ذلك قال الزمخشري لا شي في بدن
الانسان الانفس للفواد ولا اشد تالما باذاه اذا امسه وايضا فان القلب هو
المعتبر والمعول عليه في الجسد وساير الاعضا اتباعه قال بعض الحكما القلب ملك
الاعضا وجميع الجوارح جنوده والاعضا تخدمه فالعقل وزيره والفهم عامله
والعينان رايده والاذنان طليعته علي ان بعضهم قد خالف فجعل ابتدا الحب انما ينشا عن
القلب بواسطة الفكر دون الحواس والي ذلك يشير بشار بقوله

وما تبصر العينان في موضع الهوي   ولا تسمع الاذنان الا من القلب

ثم قد ذكر انه عرض لقلبه بسبب الفراق اربع عوارض الاول التبل وهو المراد بقوله متبول فان حملنا القلب في كلامه على الفواد كان المراد بالتبل الضنا والسقم كما تقدم ذلك وذلك انه استولي عليه الحب وغلب عليه العشق وعراه السهر وتقليل الطعام والشراب واستولي عليه الفكر والوسواس فربما عرض له من ذلك دواثر الضنا والسقم في قلبه وسري منه الي ساير بدنه قال الاحنف ابن قيس بينما انا اطوف واذا بثلاث جواري اتراب فدنت احداهن الي وقالت يا ابي البشر انت القايل

ماذا لقيت من الهوي وعذابه   فنحت علي بلية من بابه

فقلت نعم فقالت كذبت والله لو كنت عاشقا لكنت شلي وكشفت عن اشباح عارية من اللحم وانشات تقول

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني   فمالي اري الاعضا منك كواسيا
~~فلا حب يلصق~~ فلا حب حتي يلصق الجسم بالحشا   وتخرس حتي لا تجيب المناديا

بل ربما ادي به الحب الي الموت والهلاك كما اتفق لكثير من المتيمين وكتاب مصارع العشاق لابي جعفر ابن السراج وطوق الحمامة لابن حزم مشحونان بذكر اخبارهم ومن ذلك قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض حيث يقول

وعش سالما فالحب راحته عنا   واوله سقم واخره قتل

وان حملنا القلب في كلامه علي العقل كان المراد بالتبل ضعف العقل ويكون المعني انه انتهي به الحب الي الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهايم علي وجهه الذي لا يدري اين يقصد ولا اين يتوجه وهو موافق لما يقوله الاطبا من ان العشق نوع من المالنخوليا والي ذلك يشير قيس بقوله

قالوا جننت بمن تهوي فقلت لهم   العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه   وانما يصرع المجنون في الحين

مطلب

ثم قد تقدم ان المراد باليوم الزمن وحينيذ فيكون المراد انه صار في الضنا والسقم والهيام والوله علي ممر الزمان وتعاقب الايام العارض الثاني اليتم وهو الاسر والرق والذل واليه اشار بقوله متيم وذلك ان المحب اذا تعلق قلبه بالمحبوب واشتغل خاطره به صار قلبه في يد محبوبه يتصرف فيه كيف شا ويديره في قبضته كيف شا

شا فليس له منه تخلص ولا الي غيره منه مهرب فاشبه الاسير المستعبد الذليل في يد من اسره والي ذلك يشير المستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفا الاندلس حيث يقول

عجبا يهاب الليث حد سناني   واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا   منها سوي الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلث كالدما   زهر النجوم نواعم الابدان
حاكمت فيه السلو الي الصبا   فقضي بسلطانه علي سلطاني
فابحن من قلبي الحما وتركنني   في عز ملكي كالاسير العاني

ثم انه علي الرواية المشهورة وهي متيم اثرها كان المعني ان قلبه صار مقتفيا لاثارها يرحل لرحيلها ويقيم باقامتها كما ان العبد الذي في ربقة الرق وذل العبودية يسير بسير سيده ويقيم باقامته ولله در القايل

قالت لي من احب والسير قد جد   وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي تصنع في الطريق بعدي   قلت ابكي عليك طول الطريق

فعند ذلك بقا استمراره في الاسر والرق وهو المراد بقوله لم يفد فان حملناه علي انه لم يجد من يفديه فيتخلص من الاسر فاذا طال اسره ودام رقه مع ما هو عليه من الضنا والسقم انضم الي ما هو فيه من ذلك الم الياس من الخلاص فزاد الما الي المه وشجنا الي شجنه وان حملناه علي ان منع الفدا لعدم اختياره له كان المعني ان في العشق ملذوذا يحمل علي الصبر علي المر ويبعث علي الازدياد منه وقد قال الجنيد رضي الله عنه العشق الرحمانية والهام شوقي اوجبها كرم الله تعالي علي كل ذي روح لتحصل اللذة العظمي التي لا يقدر علي مثلها الا بتلك الالفة وما احسن قول القايل

ومن عجبي اني جريح وكلما   رمتني بسهم بعد سهم يلذ لي

العارض الرابع التقييد وهو المراد بقوله مكبول وذلك ان فيه تاكيدا لعدم الخلاص اذ الاسير اذا كان عريا عن القيد ربما امكنه الهرب اذا اختار الفراق فاذا كان مقيدا ضعفت قوته وقلت حيلته وايضا فان في القيد زيادة مذلة واهانة واعلم ان هذه العوارض الاربع التي ذكرتها ترجع الي وصفين من

اوصاف الحب وهما التبل والتيتم والعارضان الاحزان وهما الفدا والتبكل من لوازم التيتم الذي هو الاسر ولما كان التبل والتيتم من اعلى مراتب الحب اقتصر في تغزله عليهما واكتفى بهما عما دونهما فان قيل كيف ساغ ان يتغزل بامرة في قصيدة انشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجواب انه جرى في ذلك على عادة العرب في اشعارهم وسماع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك واقراره عليه دليل الجواز ويحتمل انه قصد امراة معينة كانت حليلة وبانت عنه فتغزل فيها فقد نص العلما رضي الله عنهم على انه انما يمتنع التغزل اذا كان الشخص معين وامراة اجنبية اما اذا كان بحليلة او غير معين فلا منع فيه كما تقدم على ان محبتهم كانت غير متقضية الى الخنا والقبيح ويحتمل انه لم يقصد بذلك امراة معينة بل جرى فيه على الغرض عادة الشعرا في ذلك ولا منع فيه لما تقدم ولذلك كثير من المتيمين في عشق من احبوه صبر على الوصال وتعفف عن الهجوم على الشهوة وربما اجتمع الواحد منهم بمن يحبه في الخلوة ثم لا يكون بينهما امر لعفة من الرجال وصيانة من النسا وقد قيل لرجل من بني عذرة ما للرجل منكم يموت في هوى امراة فقال لان فينا جمال وعفة وقد ذكر البوزيابي ان اعرابيا قال علقت بامراة كنت اتيها فاحدثها وما جرت بيننا ريبة قط الا اني رايت بياض كفها في ليلة ظلما فوضعت يدها على يدي وقالت مه لا تفسد واصلح فانه ما نكح الحب الا فسد ولله در القايل

انزه في روض المحاسن مقلتي   وامنع نفسي ان تنال محرما

ولذلك نص العلما رضي الله عنهم على ان الميت عشقا معدود من الشهدا كالمبطون والمطعون والغريق وغيرهم محتجين بما رواه الدارقطني والدراعي في جزئه من حديث ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وان الحديث فيه ضعيف والى هذا المعنى يشير ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى بقوله

ان المحب اذا توفي صابرا   كانت منازله مع الشهدا

البيت الثاني

وما سعاد

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا   الا اغن غضيض الطرف مكحول

اي وما سعاد غداة البين اذ رحلوا وهي معهم الا ظبي اغن الصوت غضيض الطرف مكحول سعاد هي العين ومحبوبته التي اشار اليها في البيت الاول والغداة اسم لمقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بهما مطلق الزمان كما تقدم فقلبي اليوم متبول وكلامه في البيت يحتملهما والبين الفراق والتي في قوله رحلوا بضمير الجمع وان كان المحدث عنه انما هو سعاد فقط اشارة الى انها رحلت مع قومها ويحتمل انه قصد تعظيمها فعبر عنها بلفظ الجمع والاغن من صفات الظبي فصار لغلبة الاستعمال كانه مختص به وغضيض بمعنى مغضوض كذبيح بمعنى مذبوح وكسير بمعنى مكسور ونحو ذلك والطرف المراد به هنا العين ثم الاصل في غض الطرف ترك التحديق واستيفاء النظر وهو كلام البيت يحتمل امرين احدهما ان يريد به كسر الجفون وفتورها على عادة الشعرا في مثل ذلك الثاني ان يريد به الحيا والخفر وكلاهما يمدح به على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى والمكحول وصف الظبي الاغن وهو اما من الكحل بفتح الكاف والحا وهو سواد يعلو العينين واما من الكحل بالضم وهو الاثمد والمعنى في البيت ظاهر وحاصله انه لما ذكر حال نفسه وما اعقبه الفراق من الفتك شرع في وصف ذكر محبوبته التي في هواها وما اشتملت عليه من المحاسن التي لا يقدر معها على الاسف على فراقها وتلف المهجة في محبتها فشبهها بظبي موصوف باحسن الصفات واعاد ذكرها للتعظيم كما في قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ولان اسم المحبوب مما يلتذ بذكره ولله در القايل

يا من اذا ذكر اسمه في مجلس   لذ الحديث به وطاب المجلس

وخص التشبيه بالظبا جريا على عادة العرب في التشبيه لها لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل احد انما يقع له التشبيه مما في خزانة خياله الا ترى ان تشبيهات ابن المعتز في شعره انما هو اللالي واليواقيت واصناف الجواهر وتشبيهات العرب انما هي بالشيح والقيصوم وازهار البادية وما شاكل ذلك واوضح شاهد لذلك ما اجرى الله سبحانه به عن حكاية الهدهد

بقوله الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبا في السموات والارض فعبر باخراج الخبا دون علم الغيب وان كان علم الغيب اعم منه اذ كان من عاداته اخراج الخبات لسليمن عليه السلام حتي يقال انه ينظر اليها تحت الارض ولذلك تراه يضرب بمنقاره في الارض ليخرج الدود من اصلها فيا كله واعلم ان التشبيه بالظبا انما هو من استحسانها في جنس الوحش لانها احسن من الادمي في نفس الامر قال تعالي لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال عز وجل وصوركم فاحسن صوركم ولذلك قالوا الفقها رضي الله عنهم لو قال لزوجته ان لم تكوني احسن من الشمس والقمر فانت طالق لم تطلق وان كانت زنجية سودا ثم لما شبهها بالظبي وصفه بثلاث صفات مستحسن في الظبي الصفة الاولي الغنة في الصوت وهو مما يلتذ سماعه ولذلك قيل في وصف الرياض الحسنة روضة غنا من حيث ان صوت الرياض في الشجر الملتف يشبه الصوت الخارج بغنة وقد جا في وصف الحسين عليه السلام انه كان فيه غنة حسنة واعلم ان العشق كما يقع بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة استصحاب سماع الصوت فقد قيل ان سبب المحبة ثلاثة اشيا روية صورة او سماع نغمة او سماع صفة حكي ان ابا تمام الطاي سمع جارية تغني بالفارسية فشجاه صوتها ولم يفهم كلامها فانشد وهو يقول

فلم افهم معانيها ولكن   شجت قلبي فلم اجهل شجاها
فكنت كانني اعمي معني   بحب الغانيات ولا اراها

قال ابو هلال العسكري في كتاب الاوايل وامر الصوت عجيب منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنه ما يسر ويهيج حتي يرقص ويقلق ومنه ما يبكي ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشا وبه ينومون الصبيان وبه يستخرج الحية من جحرها واهل الصناعات اذا خافوا الملال ترنموا وتسقي الدواب بالصفير وتصغي اذانها اذا غني لها الحادي وتزيد الابل في مشيها اذا حدا بها الحادي وفي امور يطول ذكرها ذكرها من تاثير الصوت وقد قيل ان صدقة الحادي سأله الرشيد او غيره من الخلفا عما بلغه من حسن حدايه فقال ان تعطش الابل ثلاثة ايام ثم احدي بها فتنزع الشرب وتصغي الي صوتي فامر بالابل فعطشت ثم احضر

وامر

وامر بالابل فنودي لها بالما فلما هجمت مرتين او ثلاثا امر صدقة بالحدي فحدا بها فقطعت الشرب واقبلت ففعل ذلك مرارا فقال الخليفة قتلتها اعطها ويلك دعها تشرب وعن عمر الوادي قال بينما انا اسير سير الرود والعرج اذ سمعت انسانا يغني غنا لم اسمع مثله فاصغيت اليه فاذا هو يغني في شعر كثير

وكنت اذا ما جيت ليلي ازورها   اري الارض تطوي لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها   اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

فكدت اسقط طربا عن راحلتي وقلت لالتمس صاحب هذا الصوت فاصير اليه ولو بذهاب نفسي فهممت الي ان وصلت اليه فاذا هو راعي غنم فسالته ان يعيد ذلك الي فقال نعم ولو حضرني قري اقريكه ما عدته ولكني اجعل قراك فربما ترددته والي وانا غرثان فاشبع وظمآن فاروي ومستوحش فانس وكسلان فانشط قال فاعادها علي حتي حفظتها منه فوالله ما كان زادي حتي ولجت المدينة غيرهما قلت واخبرني بعض الاصحاب عن من اخبره انه سافر [illegible] من اليمن الي مكة ومعه رفيق من اليمن مر بوادي اليمن فمر في طريقه بشجرة فوق الذراع فوقف تجاهها وصفق وغنا لها بغني مخصوص فجعلت تتمايل يمينا وشمالا فلما سكت سكنت وكنت في شك من ذلك الي ان اخبرني من اثق به ان الشيخ ناصر الدين ابن الميلق رحمه الله قبل ان يلي قاضي القضاة بالديار المصرية كنا بمنطرح بغيط السناني بالقرب من بولاق وكان فيه شجرة من هذا النوع كان يقف امامها ويصفق لها بيديه ويغنيها بابيات فتتمايل يمينا وشمالا ثم سكن بالمنطرح بعده رجل من اهل العلم كان يفعل لتلك الشجرة كذلك ثم اخبرني بعض اهل بلد اليمن بالديار المصرية ان هذه الشجرة موجود عندهم الي الان ولما كان امر الصوت من التاثير علي ذلك حق له ان يتغزل بالغنة التي هي من الذ الاصوات الصفة الثانية غض الطرف فان حملناه علي كسر الجفون وفتورها كان ذلك من باب الزيادة في الحسن والجمال اذ النفوس تميل الي ذلك في الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعرا في القديم والحديث تتغزل في ذلك وقد قيل اغزل بيت قالته العرب قول جرير شعر

ان العيون الذي في طرفها مرض   قتلننا ثم لم يحيينا قتلانا
يصرعن ذي اللب حتي لا حراك به   وهن اضعف خلق الله انسانا

وان حملناه على الحيا والخفر كان ابلغ في ذلك اذ الحيا مما يمتدح به عقلا
وشرعا وقد مدح الله تعالى الحور بقوله قاصرات الطرف عين فاخبر بانها
قاصرات الطرف عين اشارة الى ان غض الطرف فيهن ليس لضعف في العيون
ولا مرض في الجفون وامر تعالى بغض البصر حياء وعفة فقال تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الصفة الثالثة
سواد العيون وهو المراد بقوله مكحول فان جعلناه من الكحل الذي هو سواد
جفون العينين من غير تكحيل فهو في غاية المدح للاستغنا به عن التكحيل
وقد جا في وصفه صلى الله عليه وسلم في عينيه كحل وبالجملة فسواد العيون
مما يستحسن ويميل اليه النفوس ولله در القايل شعر

❁ تغار الشمس منها حين تبدو ❁ كغصن البان في خضر البرود ❁
❁ باطواق من الحنا حمر ❁ والحاظ كبيض الهند سود ❁

بل هو اكمل من الحسن في الفتور في الجفون واعلا رتبة في الجمال واشد تاثيرا في القلوب
والى ذلك يشير ابو اسحق الغزي بقوله شعر

❁ راش الفتور لسهما فاخطاه ❁ حتى ابتغى لسهما من الكحل ❁

وان جعلناه من التكحيل بالاثمد لكونه يكسو العين سوادا فالذي يظهر انه يريد
انضمام ذلك الى الكحل الخلقي لان التكحل لفقد الكحل في العينين فان ذلك
نقص في الحسن وهو خلاف المعهود ولله در القايل شعر

❁ زادة على كحل العيون تكحلا ❁ ويسم نصل السيف وهو قتول ❁

فان قيل لم خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل فالجواب من وجهين الاول يحتمل انه
اشار بذلك الى صفة رابعة مما يمدح بها وان كانت مخدرة لا ترى لاختبائها
وانما توصل الى رويتها عند الترحيل لاقتضائه البروز من الخبا والخروج من الخدر
فكان ذلك اول وقوع بصره عليها وعلى ذلك ينطبق حمل قوله في البيت
غضيض الطرف على الحيا والخفر ثم انه يجوز ان قد احبها على الوصف وسمعها
على السماع فان العشق قد يقع بمثل ذلك على ما تقدم ذكره ولذلك نهى النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراة لزوجها كانه ينظر اليها خشية من تعلق قلبه
بها

بها وميل نفسه اليها ولله در القايل حيث يقول شعر

❁ يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة ❁ والاذن تعشق قبل العين احيانا ❁
❁ قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم ❁ الاذن كالعين في القلب ما كانا ❁

ويجوز ان يكون قد احبها على حالة وقوع بصره عليها فان النظر يزيد العشق وزايد
المحبة قال اعرابي العشق نبت بذره النظر وماوه المطارحة للمزاورة وثماره
الوصل وحصاده التجني ومن كلام بعض الحكما المراة تمر بالرجل فيتحرك نفسه بمجرد النظر
اليها فان كرر النظر اليها زاد حبا فيها فان جلس حتى يراها كان الذي به اضعاف
ما كان فان نظرت اليه نظرة افتتن بها وصار في جملة العاشقين وقد قيل من
اطلق ناظره اتعب خاطره ومن اثرت لحظاته دامت حسراته ولله در القايل شعر

❁ وكنت متى ارسلت طرفك رايدا ❁ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ❁
❁ رايت الذي لا كله انت قادر ❁ عليه ولا عن بعضه انت صابر ❁

الثاني يحتمل ان يكون خص تشبيهها بالظبي بحالة الرحيل مبالغة في حسنها
فان الشخص عند الرحيل يكون في اسوأ حالاته مع ما ينضم الى ذلك من التاثر
بفراق الوطن خصوصا اذا كان مع ذلك فراق حبيب وتوديع صديق
فان قيل لم قدم وصف الغنة على وصف غض الطرف ووصف غض الطرف
على وصف الكحل فالجواب ان الغنة من صفات الصوت والغالب سماعه مع عدم
الروية ثم تلاه بوصف غض الطرف الذي لا يمكن اليه مع انطباق الجفن ثم
اتبعه بذكر الكحل الذي لا يمكن رويته الا مع انفتاح العين وكانه لما سمع صوتها
استحلاه فدعاه ذلك الى رويتها فاحتال على نظرها فراجعها منبسط الغفلة ببالها
والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الثالث

❁ تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ❁ كانه منهل بالراح معلول ❁

قوله تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت اي تجلو اسنانا عوارض ثغر ذي ظلم
اذا ابتسمت وتجلو معناه تكشف يقال جلوت الخبر اي كشفته والعوارض
جمع عارض واختلف في معناها فقيل هي الاسنان كلها وهي اثنان وثلاثون
سنا ستة عشر من اعلى وستة عشر من اسفل وهي اربع ثنايا

ثنتان من اعلا وثنتان من اسفل متوسطة بين الاسنان واربع رباعيات بفتح الرا وتحتية بعد العين ثنتان من اعلا وثنتان من اسفل الي جانب كل ثنية رباعيه واربعة انياب ثنتان من اعلا وثنتان من اسفل الي جانب كل رباعية ناب واربعة ضواحك اثنان من اعلا واثنان من اسفل الي جانب كل ناب ضاحك واثنا عشر رحا ستة من اعلا وستة من اسفل الي جانب كل ضاحك ثلاث رحي من اعلا وثلاثة من اسفل واربع نواجد بفتح النون وكسر الجيم الي جانب كل ثلاثة ناجد وهو ضرس الحلم الذي في اقصي الاسنان وقيل هي الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب وقيل الضواحك والرباعيات والانياب وقيل من الثنايا الي اقصي الاسنان وقيل من اقصي الثنايا الي اقصي الاسنان وذي بمعني صاحب والظلم بفتح الظا هي الاسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها قال الجوهري هو كالسواد داخل عظم السن من شدة البياض والابتسام الضحك بغير صوت وهو بخلاف القهقهة قوله كانه منهل بالراح معلول ان كان ذلك الثغر شارب خمر منهل بالراح معلول بها والمنهل بضم الميم وفتح الهاء الشارب مرة اولي والراح بالحاء والرا من اسماء الخمر والمعلول بفتح الميم واسكان العين الشارب مرة ثانية والاصل في ذلك ان الابل اذا وردت الما وشربت تنحيت عنه الي مكان تقف فيه حتي يشرب غيرها ثم تعاد الي الما فتشرب ثانيا فيقال شربت الابل عللا بعد نهل ومعني البيت ان سعاد اذا تبسمت تكشف في مبسمها عن اسنان ذات ما وبريق وذات بياض ورقة ولطيب ثغرها كانه شارب راح شربت منه مرة بعد اخري وذلك انه لما كانت الغنة وغض الطرف وكحل العين مما يستحسن في الظبيا المستحسنة في جنس الوحوش شبه سعاد بظبي ثم وصفه بهذه الصفات علي ما تقدم ذكره في البيت الذي قبله ولما كان الثغر مما يستحسن في البشر دون الظبي اعاد القول الي سعاد فذكر اولا السبب الموجب لرؤية ثغرها وهو الابتسام مشيرا الي ذلك بوصفيه من اوصاف المدح الصفة الاولي طلاقة الوجه وبشاشته اذ الشخص قد

يكون

يكون في غاية الحسن والجمال الفايق ولكنه قطوب الوجه عبوسه فيودي ذلك الي ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وما احسن قول البرعي الوفي

بروحي من رد التحية ضاحكا فجدد بعد الياس في الوصل مطمعي

وايضا فان طلاقة الوجه تدل علي الكرم وعبوسته تدل علي اللوم والي ذلك يشير بعضهم بقوله شعر

تلقا الكريم فتستدل ببشره وتري العبوس علي اللئيم دليلا

الوصف الثاني في الحيا والخفر فان الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل الخفة وسقوط المروة ولا يليق بذوي الجلالة والخفر ولذلك وردت الشريعة بذم ذلك والنهي عنه وقد جا في وصفه صلي الله عليه وسلم ان ضحكه كان تبسما والي ذلك يشير الفرزدق في قصيدته التي مدح بها زين العابدين علي ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه بقوله شعر

يغضي حيا ويغضي من مهابته ولا يكلم الا حين يتبسم

فجعل التبسم غير قادح في الحيا ولا يزيل الهيبة وغايته انطلاقة والبشر كما قيل شعر

بطلاقة ابدت بصفحة وجهه وضح الصباح لمن له عينان

ثم لما ذكر ان ثغرها ينكشف ويبدو عند ابتسامها بانه وصفها ذي ظلم فان فسرنا الظلم بما الاسنان وريقها كان الممتدح بها من وجهين الوجه الاول ان ما الاسنان من الاوصاف المستحسنة وما زالت المحبون تستعذبه والعشاق تستلذه وتستطيبه ولله در القايل

اهيم الي العذب من ريقه اذا هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته ولكن من العنب عنيب

الوجه الثاني ان بريق الاسنان مما يمتدح به ويرغب اليه وقد جا في وصفه صلي الله عليه وسلم براق الثنايا وما احسن قول النميري رضي الله عنه شعر

كان وميض البرق بيني وبينها اذا كان من بعض البيوت ابتسامها

وان فسرنا الظلم برقة الاسنان وشدة بياضها كان الممتدح به وجهين الوجه الاول ان رقة الاسنان مما يستحسن في الاسنان ويعد من اوصاف الجمال وقد قيل يستحسن في المراة رقة اربعة سنها وخصرها وانفها وبنانها وغلظ اربعة ساقها ومعصمها وعجيزتها وما هنالك

وطول اربعة اطرافها وقامتها وشعرها وعنقها وقصر اربعة يدها ورجلها
ولسانها وعينها بمعني انها تقصر يدها عن بذل ما في بيتها ورجلها
عن الخروج منه ولسانها عن الاستطالة وعينها عن ما في يد غيرها
الوجه الثاني ان بياض الاسنان مما يستحسن في الانسان وتتطلع اليه
النفوس وتنبعث اليه الخواطر ولله در القايل شعر

تفتر عن لولو رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فشبه ثغرها باللولو لشدة بياضه وتنظيمه ففيه دلالة علي وصفين اخرين
مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن في
السن تغير لون اسنانه عن البياض الي الصفرة او الخضرة الثاني
النظافة لان تغير السن انما يصدر عن ترك السواك وعدم تعهد الاسنان
وقد روي ان بعض السلف راي امراة وهي تخلل اسنانها فظلمها فسالته
عن ذلك فقال ان كان من شي بقي من فضلة عشاك في اسنانك فانت
قذرة وان كان غداء استعجلت به عن يومك فانت شرهة وكانت صالحة
فقالت انما ذلك لشظايا تنفث من السواك تخللت اسناني فساه ذلك وما
احسن قول الشيخ شرف الدين الابوصيري رحمه الله في قصيدته
يهجو بها النصاري مشيرا الي خضرة اسنانهم وصفرتها فقال

كم ما مطحلبة اسنانهم فكانما اصاب بها الريحان احجار كهربا

ولما وصف ثغرها بانه ذو ظلم علي ما تقدم شبهه بشارب راح شرب منها
مرة بعد اخري وهو يحتمل التاويلين الاول ان يريد ان ريقها امتزج
بالخمر واختلط به واكتسب من معانيها وصار شبيها بها والي ذلك
يشير بعضهم بقوله

تدير لنا من راشفها عقارا قريب العهد من كاس مدارا

ثم يحتمل ان يريد ان في فمها طعم الخمر كما قال بعضهم شعر

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة معتقة مما يجي به التجر

ومعني التجر جمع تجار ككتب جمع كتاب ويحتمل ان يريدهما جميعا اي ان فيه ريح الخمر كما قال
بعضهم شعر لنكهتها تحكي المدامة ريحها وكالشهد بل احلي من الشهد ريقها
ويحتمل

ويحتمل ان يريدهما جميعا التاويل الثاني ان يريد ان ريقها نفسه في معني الخمر وعلي
ذلك مدار اكثر الشعرا في اشعارهم ولله در القايل

والله ما ادري لاية علة يدعون هذا الراح اسم الراح
الريحها ام روحها ام روحها ام لارتياح نديمها المرتاح

فان قيل ان يتغزل في مثل هذه يذكر الخمر التي هي ام الخبايث مع كون تحريمها سابقا
علي اسلامه فان تحريم الخمر في سنة ثلاث من الهجرة واسلامه بعد منصرف
النبي صلي الله عليه وسلم من الطايف في سنة ثمانية فالجواب الجري في ذلك
علي عادة العرب في اشعارهم مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم في الكلام علي الغزل
في المراة واذا تعرض لذكر الراح ومتعلقاتها في هذا البيت والذي بعده فلا بد من
متابعته علي ذلك وايراد ما ترجع اليه معاني كلامه فقد الاديب الذي يخوض
في كل فن وقد حكي الحريري في درة الغواص عن حامد ابن العباس بانه سال مرة علي ابن
عيسي في ديوان الوزارة عن دوا الخمار فاعرض عن كلامه وقال ما انا وهذه المسالة
فخجل حامد منه ثم التفت الي قاضي القضاة ابي عمر وسال عن ذلك فتنحنح
القاضي لاصلاح صوته ثم قال قال الله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم استعينوا علي كل صنعة
بصالح من اهلها والاعشي هو المشهور في هذه الصناعة في الجاهلية وقد قال

وكاس شربت علي لذة واخري تداويت منها بها

ثم تلاه ابو نواس فقال

ودع لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فاسفر حينيذ وجه حامد وقال ما ضرك يا بارد لو تجيب بما اجاب به القاضي وقد
استظهر في جواب المسيلة بقول الله تعالي اولا ثم بقول الرسول صلي الله عليه
وسلم ثانيا وبين الفتيا وادي المعني وتبرا من العهدة فكان خجل علي
ابن عيسي من حامد بهذا الكلام اكثر من خجل حامد منه لابتدايه بالمسيلة
والله تعالي اعلم بالصواب

البيت الرابع

شجت بذي شبم من ماء محنية صاف بابطح اضحي وهو مشمول

قوله شجت بذي شبم من ماء محنية صاف اي شجت تلك الراح بماء ذي
شبم من ماء محنية صاف عن الكدر اي من حيث مزجها بكسر سورتها

والاصل في الشج الشق والكسر ومنه الشجاج في الراس وذي بمعني صاحب
كما في البيت الذي قبله والشج بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة شدة البرد
والمحنية بفتح الميم واسكان الحاء وكسر النون وفتح اليا اخر الحروف بعدها
تاء التانيث ما انعطف من الوادي اخذا من قولهم اذا عطفته والصافي
خلاف الكدر فقوله بابطح اضحي وهو شمول اي ذلك الماء كان بابطح اضحي ذلك
الماء وهو مشمول والابطح مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصا
ومنه سمي مسيل مكة ابطح واضحي اي دخل وقت الضحي والمشمول بفتح الميم
واسكان الشين الماء الذي ضربته ريح الشمال حتي برد ومنه قيل خمر مشمولة
اذا كانت باردة الطعم ومعني البيت ان الماء الذي مزجت به تلك الراح بارد صافي
اخذ من منعطف الواد في مسيل واسع تربته دقاق الحصا وكان اخذه منه
في وقت الضحي بعد ان ضربته ريح الشمال حتي برد وذلك انها اشبه ثغرها
بمنهل معلول بالراح علي ما تقدم في البيت الذي قبله شرع في وصف الراح
الذي شبه الثغر بها فوصفها اولا بانها مزجت بالماء واعلم ان الخمر اذا
بقيت علي صرافتها من غير خلط ماء بها قيل صرف فان صب عليها ماء
قيل مزجت قل الممتزج او كثر فان كان بحيث رققها ولطفها ولم يكسر
سورتها قيل شعشعت فان زيد علي ذلك حتي كسرت سورتها
قيل شجت فان زيد علي ذلك حتي ذهبت قوتها قيل قتلت وقد
اختلف ندماؤها اهل الاولي شربها صرفا او ممزوجة فذهب قوم
الي اختيار الصرف والي ذلك يشير حسان ابن ثابت رضي الله عنه في
الجاهلية ٭ ان التي ناولتني فرددتها ٭ قتلت قتلت فهاتها لم تقتل ٭
كلتاهما حلب العصير فعاطني ٭ بزجاجة ارخاهما للمفصل ٭
انه رد الكاس علي ساقيها حيث قتلها بالمزج بقوله ان التي ناولتني
فرددتها قتلت ثم دعا عليه لكونه قتلها بالمزج بقوله قتلت ثم طلبها
صرفا بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوي بين الصرف والممزوج في الرجوع
الي اصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب العصير ثم طلب اشدها
تاثيرا في السكر بقوله فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل بكسر الميم
وفتح

وفتح الصاد يعني الانسان سمي بذلك لفصله بين الحق والباطل واصح
منه في المقصود قول الاخر ٭
٭ واصرف بصرف الراح عنك الاسا ٭ وصرف الهم ولا تكتئب ٭
والاشعار في ذلك كثيرة خارجة عن الحصر وذهب اخرون الي اختيار
الممزوجة الا ان الشعرا لم يستعملوه الا علي سبيل الوصف كما في قوله في بيت
القصيدة شجت بذي شبم وكقول ابي نواس شعر ٭
حمراء قبل المزج صفراء بعده ٭ وقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض
رحمه الله شعر ٭ لها البدر كاس وهي شمس يديرها ٭ هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم ٭
وما احسن قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض في قصيدته الميمية جامعا
بين المذهبين وحاويا للكل من الطريقين شعر ٭
٭ عليك بها صرفا وان شئت مزجها ٭ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ٭
فان قيل لاي معني اختار ذكر الممزوجة في كلامه علي الصرف حيث قال
شجت فالجواب من وجهين الوجه الاول ان الصرف من حيث الطب حار يابس
والممزوجة حار رطب فالمزج ينقلها من اليبوسة الي الرطوبة ويردها الي
التعديل بعد الافراط الثاني ان الصرف قد يودي الي زوال الشعور وذهاب
الاحساس فيصير الي حيث لا يدري ما يقال عنده ولا يدرك ما يجري في مجلسه
فيذهب بذلك نشاتها وتبقي خمارها يرجع شاربها من حال اليقظة الي حال
النوم ومن الصحة الي حال يشبه الموت فان قيل لم خص الشج دون ساير
انواع المزج المتقدمة فالجواب ايضا من وجهين الاول ان الشج اعدل حالات
المزج والشعشعة لم تنبه الرجل بكسر سورتها لمقارنتها الصرف في افعالها
والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشج يذهب حد
السورة ويبقي منها بقية يحصل منها النشوة الثاني ان بين الشج في الراس
والشج في الكاس مناسبتان ظاهرة وخفية فاما الظاهرة فهي ان شج
راس الكاس يوجب خروج الحباب منه وظهوره علي سطحه كما ان شج
راس الانسان يوجب خروج الدم منها وظهوره علي سطح الجلدة والي هذا
المعني يشير عكاشة العمي بقوله شعر ٭
٭ واذا المزاج علي فتح جبينها ٭ نعقت بالسنة المزاج حبابا ٭

واما الخفي فهو ان اعلا الشجاج في الراس الموضحة وهي التي توضح العظم والواجب فيها خمس من الابل ثم ان كانت عمدا اقتضي فيها من الجاني فان عفا فهما علي الدية وجب الخمس من الابل عليه وان كانت خطا او شبه عمد تحملها العاقلة عنه كما تحمل دية النفس في الخطا والكاس في يد النديم يعقله باصابعه الخمس يعني انه يمنعه من الحركة ونحوها والعقل في اصل اللغة للمنع وبه سميت العاقلة لمنعها الجاني عن الوقوع في مثل هذه الجناية والي هذا المعني يشير الشيخ صدر الدين الوكيل الشافعي بقوله شعر

ما الكاس عندي باطواف الانامل بل   بالخمس تقبض لا يخلو اليها الهرب
شجت بالماء منها الراس موضحة   فحين اعقلها بالخمس لا عجب

ثم لما ذكر انها مزجت بالماء وصف الماء الذي مزجت به بستة اوصاف الوصف الاول كونه ذا شبم وهو الشديد البرد علي ما تقدم تفسيره وذلك ان البرد في الماء مما يستطاب به شرب الماء القراح ويستعذب وقد ورد في الحديث خير الماء الشبم يعني البارد فان مزجت الخمر به كانت اطيب والذ كما في الماء ضرورة والي ذلك يشير نصيب شعر

كان علي انيابها الخمر شجها   بماء الندا من اخر الليل عابق

وذلك ان الماء اخر الليل يكون قد برد خصوصا ماء الندا فانه في تلك الساعة ينزل واكثر ما يكون في زمن البرد واعلم ان ما ذكره من وصف ماء المزج بالبرد جار فيه علي الغالب وربما وقع في كلامهم مزجها بالماء الحار كما اشار اليه عمرو ابن كلثوم بقوله في ابيات شعر

مشعشعة كان الحص فيها   اذا ما الماء خالطها سخينا

قال ابو عمرو الشيباني كانوا يسخنون لها الماء في الشتا والحص في البيت بضم الحا وبالصاد المهملتين الورس وقيل الزعفران جعل ان الماء اذا خالطها سخنا اثار منها رائحة طيبة ولعل ذلك كان يقع لهم في البرد الشديد الذي يجمد فيه الخمر لشدته فاذا وضع الماء السخن فيها لطفها ورققها بخلاف البارد فانها تزيد جمودا الي جمودها والي هذا المعني يشير القاضي الفاضل رحمه الله تعا واصفا لشدة البرد في ليلة قد جمد خمرها وخمد جمرها

الي يوم نود البصلة لو زادت قصا الي قصها   والشمس لو جرت النار الي قرصها

ولله

ولله در القائل شعر

ويوم يود الطير من برد به   لو ذاق حر النار والسفودا
واذا رميت بفضل كاس في الهوي   رجعت عليك من السلاف عقودا

الوصف الثاني كونه من ماء محنية وهو ما انعطف من الوادي علي ما تقدم قال ابو السعادات ابن الاثير في نهايته وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون اصفا وابرد وكان المعني فيه ان الرياح تتراكم فيه لانعطافه فيبرده كما اشار اليه في اخر البيت بقوله وهو مشمول وان كان فيه قذي ازالته كما اشار اليه في البيت الذي يليه بقوله تنفي الرياح القذي عنه وافرطه علي ما سياتي بيانه الوصف الثالث كونه صافيا وهو المراد بقوله صاف وذلك ان الماء انما يصفو بخلوصه عما يخالطه من اجزا الارض فاذا كان صافيا ومزجت به الخمر لا يكدرها بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته لها ويخرجها عن وصف الصفا المطلوب فيها الوصف الرابع كونه ابطح وهو المسيل الواسع الذي ترابه دقاق الحصا علي ما تقدم بيانه فباتساعه يكون مظنة الكثرة ويكون ترابه دقاق الحصا يكون مظنة الصفا الوصف الخامس كونه اضحي في وقت الضحي وهو اول وقت يستسقي فيه الماء لقرب عهده من اخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد ذلك من اوقات النهار التي تشتد فيها حر الشمس الي اخر النهار واول الليل تبقي فيها اثر حر النهار الوصف السادس كونه مشمولا وهو الذي ضربته ريح الشمال حتي برد لان المطلوب فيه البرد كما تقدم فان قيل لم خص ريح الشمال بالذكر دون غيرها فالجواب ان ريح الشمال اشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها وغيرها من الرياح كذلك بل ربما هبت بعض الرياح علي الماء فيسخن عبورها عليه وسياتي ذكر انواع الرياح في البيت الذي يليه عند قوله تنفي الرياح القذي عنه انشا الله تع والله تعالي اعلم

البيت الخامس

تنفي الرياح القذي عنه وافرطه   من صوب سارية بيض يعاليل

قوله تنفي الرياح القذي عنه وافرطه اي تنفي الرياح القذي عن ذلك الابطح وقوله تنفي اي تطرد يقال نفاه اي طرده والرياح جمع ريح قال

الامام فخر الدين والريح عبارة عن هوي يتحرك قال وكونه متحركا ليس لذاته ولا لازمة لحركة بدوام ذاته فلابد وان يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله سبحانه وتعالي كما قال الله الذي يرسل الريح وزعم الفلاسفة ان سبب ذلك ارتفاع اجزا دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا وسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الي القرب من الفلك كان الهوي الملتصق بمقعر الفلك متحركا علي استدارة الفلك المستديرة التي جعلت لتلك الطبيعة من الهوي يمنع نفوذ الادخنة فتتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح وهو مردود باجوبة ليس هذا موضع ذكرها ثم اصول الريح اربعة الاولي الصبا وسمي القبول بفتح القاف لانها تقابل هبوبها المشرق وتاتي من مطلع الشمس قال ابو جعفر النحاس وهي التي تسميها اهل مصر الشرقية لانها تاتي من الشرق والثانية الدبور وهي التي تاتي من مغرب الشمس سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها واهل مصر يسمونها الغربية ومهبها من مغرب الشمس الي حد القطب الاسفل وهو الجنوبي الثالثة الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل القبلة المشرق قال النحاس ويقال لها البحرية لانها يسار بها في البحر علي كل حال والاسم الذي ذكره يعرف عند المصريين والعامة يعتقدون انها سميت بذلك لهبوبها عليهم من جهة البحر ومهبها من خط القطب الشمال الي مغرب الشمس الرابعة الجنوب وهي التي تسميها المصريين القبلية وعامتهم يعبرون عليها بالمريسي لانها تهب من بلاد المريس وهم طايفة من السودان نحاس الوجوه ومهبها من حد القطب الاسفل الي مطلع الشمس وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها النكبا سميت بذلك لانها نكبت من مهب تلك الرياح الاربع اي عدلت عنها ولاهل البحر والملاحين في ذلك المعرفة التامة وهم مما يقال علم نفيس في جنس خسيس والقذي بفتح القاف والذال المعجمة ما يسقط في العين والشراب والمراد هنا ما يقع في الماء مما يشربه ويكدره قوله وافرطه من صوب سارية بيض يعاليل وافرط ذلك الابطح بالماء بيض يعاليل من صوب سارية

وقوله

وقوله وافرطه يعني ملاه ملا خارجا واصل الافراط الزيادة في الشي ومجاوزة الحد والمراد هنا ان البيض اليعاليل علي الخلاف الاتي في تفسيرها قد ملئت ذلك الابطح بالماء حتي خرج في امتلائه عن الحد والصوب في كلامه بمعني المطر والسارية تحتمل معنيين الاول ان يريد من صوب سحابة سارية وهي التي تاتي بالليل اخذا من السري وهو سير الليل يقال سري يسري اذا سار ليلا وقد سارت علي السحابة حتي صارت علما عليها لا يفهم منها عند الاطلاق في كلام العرب عند ذكرها غيرها الثاني ان يريد من صوب سحب سارية علي معني الجمع ويكون المراد السحب التي تاتي في الليل وقد اختلف في معني البيض اليعاليل فقيل البيض الجبال واليعاليل الشديدة البياض وهو الظاهر الذي يرشد اليه المعني ويكون البيض الجبال علي ما تقدم واليعاليل التي تنزل منها الماء مرة بعد اخري اخذا من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة كما تقدم في البيت قبله وقيل البيض الجبال واليعاليل المرتفع وقيل البيض السحب واليعاليل التي تجي مرة بعد اخري ورد بانه يصير التقدير وافرطه بيض سحب يعاليل من صوب سحابة سارية ويكون المعني ان السحب البيض التي ملات الابطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة السارية وذلك يؤدي ان بعض السحب تمد المطر من بعض وهو خلاف المراد وغير الواقع بل السحب لا تكون بيضا الا اذا كانت خالية من المطر واما اذا كانت حاملة للمطر فان لونها يكون اغبر ومعني البيت ان الرياح عند هبوبها تطرد ما بذلك الابطح الذي اخذ منه الماء المشجوج به الراح المشبه بها ثغر سعاد حتي لم يبق به ما يكدره وجاءت سحابة او سحب بالليل فامطرته حتي امتلا وفاض فاجتمع فيه الصفا والبرودة والكثرة وذلك انه لما وصف الماء الذي شجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله الي الكثرة والبرودة والصفا علي ما تقدم تقديره هناك اتبعه في البيت بما يؤكده فوصف فيه بخمسة اوصاف الاول انتفاء القذي عن الابطح الذي فيه الماء وهو محتمل معنيين الاول ان يكون نفي القذي عنه قبل وجود الماء فيه بمعني ان الرياح تهب عليه فتنسف ما فيه من تراب ونحوه مما يكدره اذا نزل عليه الماء فلا يبقي فيه الا دقاق الحصا التي هي اصل تربته فلا يجد الماء عند حلوله فيه ما يكدره فيبقي علي صفائه الثاني ان يكون نفي القذي عنه بعد وجود الماء فيه

يعني ان الرياح تهب علي الما وهو في الابطح فتعقد فعلي ما في وجهه مما كان في الابطح قبل وجود الما فيه فطفا علي وجه الما او سقط في الما بعد حصوله في الابطح فتطرده الي شاطي الوادي والمعني الاول ابلغ في الصفا لعدم ملاقات القذي للما جملة وهو اقرب الي مراد الناظم رضي الله عنه الوصف الثاني الزياده والكثره وهو المراد بقوله وافرطه لان الما قد يكون باردا صافيا ولكن فيه ما يستقذر مما لا يكدره ولا يغيره كعظم الميتة وغيره فان كان كثيرا لا يتاثر بذلك ولم تعف النفس شربه ولذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم اذا بلغ الما قلتين لم يحمل خبثا اشارة الي ما دون القلتين يتاثر بالنجاسة وغيرها وان لم يتغير الوصف الثالث كونه من ما المطر وهو المراد بقوله من صوب علي ما تقدم تفسيره فان قيل لم خص ما المطر دون غيره من المياه فالجواب من خمسة اوجه الاول ان الغالب في ارض الحجاز ما المطر ومنه تمتلي الجبال والاودية وتستمد منه العيون فجري في ذلك علي الغالب في ارضه وهو الاقرب الي مراده الوجه الثاني ان يكون ما المطر مشتمل من اصله علي وجهين من اوصاف الما المطلوبة فيه وهما الصفا والبرودة اما الصفا فلانه ليس في السحاب ما يكدره وانما نظرا عليه الكدرة بعد ذلك مما يصيبه من اجزا الارض بخلاف المياه الارضية فانها مخالطة لاجزا الارض من اصلها واما البرودة فلان ما المطر ينزل من السحاب باردا وانما نظرا عليه السخونة بعد ذلك لما يصيبه من حر الشمس وحرارة الارض وما احسن قول بعضهم يرثي شيخه وقد امطرت السما في اليوم الذي مات فيه شعر

بكت السما عليه يوم مماته   بمدامع كاللؤلؤ المنثور
واظنها فرحت بصعد روحه   لما سمت وتعلقت بالنور
وليس دمع الغيث يهمي باردا   وكذا يكون مدامع المسرور

الثالث ان ما المطر افضل من غيره من المياه ولذلك وردت السنة بان يكشف الانسان ما سوي عورته لاول مطر العام ليصيبه وقد جا ان الرياح تحمل الما من السما فتصبه في السحاب فيمطر منه وعليه قري في السواد وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا تفسيرا للمعصرات بالرياح دون السحاب وان كان الاكثرون

علي

علي تفسير المعصرات بالسحاب وعليه قراة السبع وانزلنا من المعصرات الرابع قيل ان الما الذي نبع من الارض هو الذي نزل من السما احتجاجا بقوله تعالي وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض وحينيذ يكون ما السما هو الاصل وما الارض نبع منه الخامس قيل ان ما المطر اخف وذلك ان الفلاسفة تزعم ان ما المطر من ابخرة متصاعدة من البحر علي ما هو مقرر عند الطبيعيين ولا ما يتصاعد من الما الا ما هو اخف والطف والي هذا المعني يشير بعضهم في الاعتذار عن هدية ارسلها الي ابن عمه بر بقوله شعر

والبحر يعطي السحاب وما له   فضل عليه لانه من مايه

الوصف الرابع كونه من سحابة او سحب اتت بالليل وهو المراد بقوله سارية علي ما تقدم وذلك ان السحاب اذا اتت ليلا بقا المطر علي اصله في البروده فاذا اخذ من صبحة تلك الليلة كان في غاية من البرد وهو من اكد المطلوب فيه وان جعلنا سارية وصف السحب علي معني الجمع كان فيه معني الكثرة ايضا فيكون موكد المعني قوله وافرطه خصوصا اذا فسرنا يعاليل بالتي تاتي مرة بعد اخري الوصف الخامس كونه نزل من السما قبل حدره الي الابطح علي جبال بيض صافية ليس عليها ما يكدر الما اذا وقع عليها وهو المراد بقوله ببيض يعاليل علي اقوي التفاسير المتقدمة من خص الجبال المذكورة بنزوله عليها قبل نزوله الابطح الذي هو مقره لان الجبال مع صفايها صلبة لا ينفصل منها شي بوقوع المطر عليها بخلاف الابطح فانه ربما اثار المطر تربته بشدة وقعه عليه ثم ان فسرنا يعاليل بالشديدة البياض كان مبالغة في صفا الما الذي ينزل عليها لغلبة الصفا عليها وان فسرناها بالتي تاتي مرة بعد اخري كان مبالغة الكثرة وكلاهما من الاوصاف المستحسنة في الما وان فسرناها بالمرتفعة كانت مبالغة في الصفا ايضا وذلك انها اذا كانت مرتفعة كان هبوب الرياح عليها اشد فربما نسفت ما بها من تربة ان كانت فيبقي علي نقايها وصفايها والله اعلم بالصواب

البيت السادس

اكرم بها خلة لو انها صدقت   موعودها اولو ان النصح مقبول

قوله اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها اي اكرم بسعاد خلة لو انها
صدقت موعودها الذي وعدته اكرم بها اي اكرم بسعاد ومعناه ما
اكرمها كما في قوله تعالي اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم
في ذلك اليوم ثم الكرم في كلامه يحتمل معنيين الاول وهو الاقرب لمراده
ان يريد به كرم الحسب والشرف وطيب الارومة الثاني ان يريد به خلاف
البخل وهو الجود وهو المتبادر الي افهام العامة والخلة بضم الخاء
وتشديد اللام وبعدها تاء التانيث الخليلة وهي الصديقة ويروي
فيا لها خلة بدل اكرم بها خلة او فيا قوم اعجبوا لها خلة ويروي ايضا
يا ويحها خلة وويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيرثي له ويرحمه
كما في قوله صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية ويروي
يا ويلها خلة وويل كلمة لمن يستحق الهلكة كما في قوله تعالي وهما يستغيثان
الله ويلك آمن ان وعد الله حق ولو في كلامه يحتمل معنيين احدهما
ان تكون للتمني كما في قوله تع فلو ان لنا كرة ويكون المعني فيا ليتها
صدقت موعودها لكانت خلة كريمة او لو صدقت موعودها لتمت خلالها
والصدق خلاف الكذب وموعودها يحتمل ثلاث معاني الاول ان يريد به
نفس الوعد بتقدير لو صدقت وعدها الثاني ان يريد به الشي الموعود به
بتقدير لو صدقت ما وعدت الثالث ان يريد به الشخص الموعود به بتقدير
لو صدقت الوعد الذي وعدته قوله ولو ان النصح مقبول اي اكرم بها خلة
لو انها صدقت موعودها علي ما تقدم او لو ان النصح مقبول عندها
او في كلامه يحتمل معنيين الاول ان تكون علي بابها الثاني ان يكون
بمعني الواو كما في قوله وارسلناه الي مائة الف او يزيدون والنصح خلاف
الغش قال ابن الاثير وهي كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح
قال وليس يمكن ان يعن علي هذا المعني بكلمة واحدة يجمع معناها غيرها
واصل النصح الخلوص ومنه قولهم نصح اللبن اذا خلص من رغوته والمقبول
خلاف المردود ومعني البيت انها صديقة كريمة الا ان فيها خصلتان
منافيتان

منافيتان لافعال الكرم وهما اخلاف الوعد وعدم قبول النصح فلو انها خلت
من هاتين الخصلتين لكانت علي اتم الخلال واكملها وحاصل الامر ان الانسان
كما يحتاج الي حسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج الي حسن الخلق والمعاشرة
من الوفا والصدق والود والمعافاه ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان
الانسان في غاية الحسن والجمال ولكن سيء المعاشرة وقليل الموافاه لمجته
النفوس ونفرت عنه النفوس وجفته الاصدقاء ورفضته الاصحاب
بل حسن السيرة يقدم علي حسن الصورة فقد قال الامام فخر الدين رحمه الله
تعالي في اسرار التنزيل ان حسن الصورة وان كان مرغوبا فيه فان حسن
السيرة افضل منه اذ حسن الصورة يبقي اياما وحسن السيرة لا يزول
اثره ولا تبطل نتيجته وحسن الصورة ربما ادي بصاحبه الي الوقوع
في المحن والبلاء وحسن السيرة ينجيه من الهلاك وينقذه من المهاوي
الا تري ان حسن الصورة ادي بيوسف عليه السلام الي السجن وحسن
سيرته اوجب له الخروج من السجن وجلوسه علي سرير الملك ولما كانت سعاد
من الحسن والجمال علي الوصف الذي تقدم ذكره الا انها كانت سيئة العشرة
قليلة الموافاة تاسف عليها لكونها لم تكمل خلالها ولم تتم خصالها ولم يهن
ما لاقاه من سوء عشرتها وقلة موافاتها عن محبته لها ولم يثني عنانه عن محبتها
بل لم يزد فيها الا هياما ولم يحدث عنده جفاها الا ودا ولله در القائل شعر

العقل عقيلة الرجال   والحب مملل العقال
العقل يقول لا تبالغ   والحب يقول لا تبال

ثم انشد علي الرواية المشهورة وهي اكرم بها خلة كان ذلك في غاية المدح فان
فسرنا الكرم بالشرف والحسب وطيب الارومة كان هو الغاية القصوي
اذ العراقة في النسب مطلوبة في المراة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد بر السنة
وردت باعتبار ذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم تخيروا ~~لنطفكم~~
لنطفكم فلا تضعوها الا في الاكفا ونهي عن المراة الدنية الاصل فقال
واياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المراة الحسناء

في النسبت السو والمعني ان الدواب اذا راثت بالمرعي ونبت الزرع في موضع الروث تراه اخضر مرتفعا علي ما حوله من الزرع فشبه النبي صلي الله عليه وسلم المراة الحسنا الدنية بالزرع النابت في الروث علي اصل غير طيب علي ان الحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدي به وان كان المعني صحيحا وان فسرنا الكرم بما خالف البخل كان في معني المدح ايضا الا انه دون الاول الا ان الجود فيما يقال من صفات المدح في الرجل دون المراة والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان او امراة وان انشد فيا لها خلة علي الرواية الثانية بتقدير لا فاعجبوا لها او فيا لها خلة كان التعجب من كونها اشتملت علي حسن الصورة وبديع الجمال وهي مع ذلك مشتملة علي سو العشرة وقلة الموافاة فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال صلي الله عليه وسلم اطلبوا الحوايج عند صباح الوجوه فان كان في نهاية ~~الفعال وكرم الاخلاق~~ الحسن والجمال وقعا لها مخالفة في ذلك كان في غاية التعجب وان انشد فيا ويحها خلة علي الرواية الثالثة كان ذلك من باب التاسف عليها حيث لم تتخلق باخلاق الكرم المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل خرجت عن طورها اللايم وركبت جادة لا تليق بمثلها فحادت عن طريق الصدق ومالت الي الاخلاف فقطعت حبال المودة وهدمت مباني الالفة ولله در البحتري حيث يقول

احنو عليك وفي فوادي لوعة ● واصد عنك ووجه ودي مقبل
واذا هممت بوصل غيرك ردني ● ولد عليك وشافع لك اول
واعز ثم اذل ذلة راغب ● والحب فيه تعزز وتذلل

وان انشد فيا ويلها علي الرواية الرابعة كان من باب الدعا علي المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل شعر ادعو عليك وقلبي ● يقول يارب لا لا

وكانه لما احبجره اعراضها واعياه صعوبة مراسها اهفت منه هفوة فقال يا ويلها لانه قصد بذلك حقيقة الدعا واذا دعا المحب علي المحبوب بالويل فما عسي يدعو به العدو علي عدوه وما احسن قول ديك الجن

كيف الدعا علي من خاب او ظلما ● وما لكي ظالمي في كل ما حكما
لا واخذ الله من اهوي بجفوته ● عمدا ولا اقتص لي منه ولا انتقما

ثم

ثم ان جعلت لو في قوله لو صدقت موعودها في التمني بتقدير البيت لو صدقت كان حسن الخلة ثابتا لها في كل حال سوا انشد اكرم بها خلة او فيا ويحها خلة علي معني ما اكرمها خلة كان قد اثبت لها وصف الكرم وان انشد فيا لها خلة او يا ويحها او يا ويلها كان فيه معني التاسف علي عدم كمال اخلاقها ومعاطاتها ما يناقض اسباب الوفا ما لا يليق بجمالها وجلالها وان جعلت لو بمعني الشرط كان قد علق الامر بجل التقدير علي صدقها الوعد فان انشد اكرم بها خلة كان كرمها معلق علي شرط صدق الوعد فلا يكون الكرم ثابتا لها الا مع صدق الوعد وان انشد فيا لها او يا ويحها او يا ويلها كان التقدير لو انها صدقت موعودها لكملت خلالها ولكان خيرا لها ثم ان جعل الكرم في كلامه بمعني الجود كان المعني انها مشتملة علي الجود متصفة بالسخا الا انها لم تجد له بالوصل فكانت كما قال ابن وكيع شعر

قالوا عشقت كثير البيت ممتنعا ● فقلت هيهات عنكم غاب اطيبه
لو جاد نهارا وان الجود عادته ● وانما عز لما عز مطلبه

وان جعل الكرم بمعني الحسب والشرف كان المراد التاسف عليها كيف لم تحسن طريقتها ولم تتصف في الوعد خلافها كما اجاد وقال جميل

وماذا عسي الواشون ان يتحدثوا ● سوي ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة ● وان لم تصف منك الخلايق

فان قيل ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه فالجواب ان سياق الكلام يقتضي انه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة علي انه قد تقدم ان محبتهم مصونة عن الخنا بعيدة عن الريبة وقد حكي ان عزة دخلت علي ام البنين ابنة عمر ابن عبد العزيز فقالت لها ما معني قول كثير شعر

قضي كل ذي دين فوفي غريمه ● وعزة ممطول معني غريمها

فقالت ما كانت هذه الدين قالت وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت انجزي بها له وعلي اثمها ففعلت وكانت ام البنين صالحة فاعتقت اربعين عبدا وقالت عند الكعبة اللهم اني ابري اليك مما قلت لعزة ثم لما اشار الي عدم وفايها بالوعد بقوله لو انها صدقت موعودها اتبع ذلك بوصف اخر وهو عدم ثبوت

النصح وهو محتمل لمعنيين الاول ان يكون النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه
في الحقيقة اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفا بما وعدته من الوصل فان المرء مجازى
بفعله والمظلوم منصور فربما رماها الدهر بمن يوقعها الحب في حبالته ويلحقه
منها بثار كما قيل شعر

٭ قلت لمحبوبي وقد مر ٭ محبوبه كالقمر الساري ٭
٭ هذا الذي ياخذ لي طرفه ٭ من طرفك الوسنان بالثاري ٭

واذا وصلته كانت قد ابقت عليه روحه وفازت بالاجر كما قيل شعر

٭ فديت من ترحم عشاقها ٭ وراحم العشاق ماجور ٭

بل ربما حمله على المحبة تمحض النصح في جانبها مع اعراضه عن حال نفسه في الوصل كما قيل

٭ وما طلبي للوصل حرصا على اللقا ٭ ولكنه اجر اليك اسوقه ٭

المعنى الثاني ان يكون النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهيها عن الحالات الذميمه
التي اثبتها لها في البيت الذي بعده من الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد
والملال الى غير ذلك مما تضمنت الابيات التي قبله وبعده ذلك على ما سياتي
بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى مع ما وصفها به في صدر القصيدة من الجمال
والحسن والجلالة التي لا تليق بصاحبها معاطاة ذميم الخلال وقد قال صلى الله عليه
وسلم لجرير بن عبد الله وكان جميلا انت امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن
خلقك ومن كلام بعض الحكما لكل شخص حكمان احدهما من جهة جسمه وهو منظره
والثاني من جهة نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان وقلما يجتمع صورة حسنة
تدبرها نفس ردية ولله در القايل شعر

٭ يا حسن الوجه توق الخنا ٭ لا تبدلن الزين بالشين ٭
٭ ويا قبيح الوجه كن محسنا ٭ لا تجمعن بين قبيحين ٭

اذا علم ذلك فان جعلنا او في كلامه بمعنى الواو وكان نصح خلتها متعلق على حدها
فقط فايهما وجد كانت متصفة بحسن الخلة على ان قبولها النصح شامل لصدق
الوعد ولا عكس ٭

البيت السابع

٭ لكنها خلة قد سيط من دمها ٭ فجع وولع واخلاف وتبديل ٭

قوله

قوله لكنها اي لكن سعاد والخلة خليلة على ما تقدم في البيت قبله وقدم هنا للتحقيق
بمعنى ما يذكره عنها من الفجع والولع والاخلاف والتبديل محقق الوجود فيها
وقوله سيط بكسر السين المهملة واسكان اليا اخر الحروف وبالطاء المهملة معناه
معناه خلط يقال ساط الماء وغيره اذا خلطه بغيره وحركه بها حتى صارا
شيئا واحدا ومنه قيل للالة التي يضرب بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم اي
يخلط قال ابن هشام ويجوز ان تقرا شيط بالشين المعجمة بدل المهملة لانه
يقال شاطه اي بمعنى ساطه ومن في كلامه بمعنى في كما في قوله تعالى اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة اي في يوم الجمعة والمعنى قد خلط في دمها هذا الخلال
والدم احد الخلال الاربعة التي بها قوام البدن وهي الدم والبلغم والصفرا
والسودا والفجع بفتح الفا واسكان الجيم والعين المهملة اصابة المكروه
والاذى والولع بفتح الواو واسكان اللام والعين المهملة ايضا الكذب
والاخلاف بكسر الهمزة واسكان الخا وبالفا في اخره خلاف الوفا والمراد
هنا باخلاف الوعد بدليل قوله في البيت الذي قبله لو انها صدقت موعودها
والتبديل ابدال الشي بغيره والمراد هنا تبديل خليل بخليل وهو في الحقيقة وصف
الملال والمعنى ان هذه المحبوبة التي ابتلي بحبها قد اشتملت على الاصابة
بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على ما تقدم بيانه قال ابن هشام
وموقع البيت مما قبله لو كان زيد عالما لاكرمته لكنه ليس بعالم ولا صالح بمعنى
انه في البيت الذي قبله اشار الى وصفين وهما اخلاف الوعد وعدم قبول
النصح وفي هذا البيت ذكر انها اشتملت على اربع خلال مستلزم لما في البيت الذي
قبله وزيادة الخلة الاولى الفجع وهو الاصابة بالمكروه على ما تقدم وهو
محتمل لامور منها الهجر وما يتبعه من مقاساة الالام ومكابدة الاهوال
ومعالجة الاسقام فالهجر يذيب القلوب ويشيب الرؤس ولله در القايل

٭ الا فاعجبوا من فعلها بحبيبها ٭ الا تعجبوا من لمتي ومشيبها ٭
٭ فان هجرتني شيبتني بهجرها ٭ وان وصلتني شيبتني بطيبها ٭

ومنه ما يلقاه منها من الجفا والاساة اذ قل ان يوجد المحب حبيبا وقد قيل

من الغنايم ان تحب وان يحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب ولا يحبك من تحب ولله در القايل شعر

واكثر افعال الغواني اساءة واكثر ما تلقي الاماني كواذبا

ومنها ما يقاسيه من الخوف من اهلها وعشيرتها كما قال ابن خفاجه شعر

وليل طرقت المالكية تحته اجد علي حكم الشباب مزارا
فخالفت اطراف الاسنة حلها ودست بها الا ان البدور ديارا

ومنها ما يناله من العزال من اللوم والتوبيخ كما قال ابن هشام شعر

لقد صبرت علي المكروه اسمعه من معشر فيك لولا انت لم نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

ومنها ما يقاسيه من الوشات والرقبا الذين لا يهنا معهم بعيش ولا يلتذ بوصال مما قلته في ذلك للمولف ابن حجر رحمه الله تعا

احرص علي طرد الرقيب وبعده ان تغتنم وصال الحبيب تلاعبه
كم ليلة بات الحبيب بجانبي لا كنني خوف الرقيب اجانبه

الخلة الثانية الولع وهو الكذب علي ما تقدم محتمل لامور ايضا منها كذبها في اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاسيا عن وصله كما قلت متضمنا بيت ابي الرشيد

من منصفي من فتاة قد علقت بها اضحت يلازمها وصل وهجران
تبدي صدودا ابطن تحته شغف فالنفس راضية والطرف غضبان

ومنها كذبها في دعوي العوايق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قلت ايضا مولفه

تقيم معاذيرا وتزعم صدقها وتطمع امالي بها فالين
وتحلف لو تستطيع جادت بوصلها وليس لمخضوب البنان يمين

ومنها كذبها في الوعد ويكون قوله بعد والاخلاف تاكيد لقوله وولع وسياتي الكلام عليه في الخلة الثالثة في البيت التاسع اخلاف الوعد علي ما سبق فتبعده وتمنيه وتطله ولا تفيه كما قال ابن بنانه شعر

وخلف وعدك خلق منك اعرفه فليت كان التجافي منك موعودي

الخلة الرابعة التبديل بخليل بخليل وهو محتمل لامرين احدهما ان يكون ذلك

حقيقة

20.

حقيقة ويكون قد وصفها بالملال حتي لا يبقي علي محبوب بل كلما خالت خليلا ملته وانتقلت منه الي اخر والي ذلك يشير العباس ابن الاحنف

يا قوم لم اهجركم لملالة منا ولا لمقال واش وحاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لا تصبرون علي طعام واحد

الثاني ان يكون ذلك خيالا منه قد خيلته له الغيرة وصورته في نفسه من شدة الحب كما في قول القايل

ولما رايت باللحظ غيري حسبتها كما اثرت بالعين توثر بالقلب
واني لارجو ان تدوم بعهدها ولكن سوء الظن من شدة الحب

فان قيل لاي معني خص الخلال الاربعة فالجواب من وجهين الاول ان الدم هو الغاذي للاعضا بمفرده علي مذهب ارسطو ومن تابعه من الاطبا فاذا اختلطت هذه الخلال به كانت قد غذيت بها جميع الاعضا وامتزجت بها فصارت طبعا لا انفكاك عنه الثاني انه قد تقدم في الكلام علي البيت الاول ان في القلب تجويفا يحوي الدم والروح الحيواني ومنه ينبث في الشرايين ويسري الي الاعضا واذا كانت هذه الخلال متصلة ومخالطة بالدم كانت متصلة بالقلب الذي عليه مدار الجسد

ساير
صح

البيت الثامن

فما تدوم علي حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول

قوله فما تدوم علي حال تكون بها اي فلما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل ما تدوم علي حال والحال يذكر ويونث يقال هذا حال صالح وهذه حالة صالحة وقد يقال حال والتانيث لغة اهل الحجاز وعليها جري الناظم ولذلك قال تكون بها ولم يقل به وقوله كما تلون في اثوابها الغول اي بل تتلون كما يتلون الغول في اثوابها واصل تلون تتلون بتائين في اوله فحذفت احدي التائين علي عادة العرب في ذلك كما حذفت من قوله تعالي تكاد تميز من الغيظ والاثواب جمع ثوب وهو معروف والغول واحد الغيلان وهو نوع من الشياطين قيل سميت بذلك لانها تغتال الشخص اي تاخذه من حيث لا يدري فتهلكه وكل شي اغتال الانسان فاهلكه قيل له غول او لانها تتغول بمعني تتلون اخذا من قولهم تغولت علي البلاد

اذا اختلفت تزعم العرب انها كانت تتزايي لهم في الفلاه بالوان شتي وتاخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها ظانا انها علي طريق فيضل عن الطريق فيهلك وربما قالوا انها تعترضهم في الطرقات فتحاربهم والي ذلك يشير تابط شرا

الا من مبلغ فتيان فهم   بما لاقيت عند رحا بطان
باني قد لقيت الغول تهوي   بسيف كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو ارض   اخو سفر فخلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فاهوت   لها كفي بمصقول يمان
فاضربها بلا دهش فخرت   صريعا لليدين وللجران

وقد اختلفوا في وجودها حقيقة فذهب قوم الي انها لا حقيقة لها وانما هي من خرافات العرب التي تلهج فيها مع غيرها من الامور المستحيلة التي هي علي غير مشبهات واحتجوا لذلك بما ثبت في صحيح مسلم من رواية جابر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا طيرة ولا نوء ولا غول فنفي صلي الله عليه وسلم الغول كما نفي الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب والي ذلك يشير بعض الشعرا بقوله يؤكد النفي الجود بمقارنته في النفي لبعض المحالات

الجود والغول والعنقا وثالثها   اسماء اشيا لم تخلق ولم تكن

وذهب اخرون الي وجودها حقيقة بقوله صلي الله عليه وسلم اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان وفي حديث ابي ايوب كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجي فتاخذها وقوله صلي الله عليه وسلم ولا غول ليس نفيا لوجود الغول بل المراد ابطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله وانها لا تستطيع ان تضل احدا وتشهد له وقوله صلي الله عليه وسلم في الحديث الاخر لا غول ولكن السعالي هي اناث الشياطين وقيل سحرتهم وقيل الذين لهم قدرة علي التلبيس والتخييل وقيل الغيلان الذي تترا في الليل والسعالي الذي تترا في النهار ومعني البيت ان هذه المراة لا تدوم علي حالة ولا تبقي علي خليل بل تتغير
من

من حال الي حال وتنتقل من خليل الي غيره وتتلون بالوان شتي وتتزاي في صور مختلفة تارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضا وتارة تغضب وتارة تجفو وتارة تتودد وتارة ترغب في خليل وتارة ترغب عنه كما قال بعض الاعراب

شكوت فقالت كل هذا تبرما   بحبي اراح الله قلبك من حبي
فلما كتمت الوجد قالت تعنتا   صبرت وماذا فعل صب شجي القلب
وادنو فتقصيني فابعد طالبا   رضاها فتعتد التباعد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يسوها   وتجزع من بعدي وتنفر من قربي
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها   اشيروا بها تستوجبوا الاجر من ربي

البيت التاسع

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت   الا كما تمسك الماء الغرابيل

قوله ولا تمسك بالعهد الذي زعمت اي فما تدوم علي حال تكون بها علي ما تقدم في البيت قبله ولا تمسك بالعهد بضم التاء المثناه فوق وكسر السين المشددة يقال تمسك بالشي بالتشديد تمسكا ومنه قوله تعالي والذين يمسكون بالكتاب ولا تمسكوا بعصم الكوافر ويجوز ان تكون بفتح التاء والميم وتشديد السين المفتوحة والاصل تتمسك فحذفت احدي التائين لما في البيت الذي قبله تلون وعليه قري في الشاذ ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعهد هنا بمعني الحفاظ ومنه قوله صلي الله عليه وسلم حسن العهد من الايمان وقوله زعمت ههنا يجوز ان يكون بمعني تكفلت ويكون التقدير التي زعمت انها تفي به والزعم في اصل اللغة قول يدعيه المدعي محتمل للحق والباطل الا انه غلب استعماله في الباطل ولم يرد في القران الا بمعناه ومنه قوله زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وقوله تعالي هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن استعماله في الحق قول ابي طالب يخاطب النبي صلي الله عليه وسلم شعر

ودعوتني وزعمت انك ناصحا   ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وقول كثير شعر   وقد زعمت اني تغيرت بعدها   ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

قال عجز البيتين يدل على الصدق وقوله كما تمسك الماء الغرابيل اي ولا تمسك
بالعهد الا تمسكا كامساك الماء الغرابيل والغرابيل جمع غربال وهو الذي يغربل
به الحنطة ونحوها ومعنى البيت انها لا وثوق بعهدها ولا اعتماد على قولها
وشبه امساكها العهد كامساك الغربال للماء ان الماء بمجرد وضعه فيه يخرج منه
مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفا كما قال ابن السراج النحوي

حلفت لنا ان لا تخون عهودنا   فكانها حلفت لنا ان لا تفي

وبما حصل الامرانه وصفها في البيت السابع باربعة اوصاف وهو الاصابة
بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل باخر على ما تقدم بيانه
هنا ثم رتب ذلك على ثلاثة اوصاف اخرى فوصفها في البيت الثامن بوصفين
هما عدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة ثم وصفها في هذا
البيت بانها لا تمسك على عهد ولا تقف عنده فان قيل كيف ساغ له ان يصف
محبوبته بهذه الصفات التي لا تليق ان يصف بها الشخص عدوه فضلا
عن حبيبه فالجواب عنه من وجهين احدهما ان وصفه لها بهذه الاوصاف
راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكل ذلك لا انه
وصفها بذلك على الاطلاق واذا كان ذلك خاصا باحوال المحبة لم يكن
قادحا في الموصوف بدون شأن المحبوب والتجني والاعراض والتعنت ولا
يكون هجره موثرا ولا تعنيته في المحبة قادحا كما قال ابو نواس

اساءت فزادتها الاساءة حظوة   حبيب على ما كان فيه حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه   ومن اين للوجه المليح ذنوب

ولله در عتيق بن محمد الوراق شعر

كلما اذنب ابدى وجهه   حجة فهو مليء بالحجج
كيف لا يفرط في اجرامه   من اذا شاء من الذنب خرج

وما احلى قول القايل شعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بالف شفيع

الثاني يكون وصفها لتنفير الغير عنها فربما سمع سامع وصفها بالحسن
فبعثه

فبعثه ذلك على حبها فكان ذلك سببا لمباينتها له فاراد ان يبين انها
مع ما وصفها به من الحسن سيئة العشرة لا تفي بوعد ولا تقف عند عهد
لتقل الرغبات في طلبها وتنفر النفوس عن حبها ولله در علي بن عيسى

ولست بواصف يوما حبيبا   اعرضه لاهوال الرجال
وما بالي اشوق قلب غيري   ودون وصاله ستر الحجال

واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على اربعة انواع الاول ان يكون عن
دلال وتيه وعلاجه بالتذلل والاستعطاف والتملق ليلحق بقلب محبوبه
ويستميل بالود خاطره والى هذا المقام اشار بعضهم

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل   اذا رضي المحبوب صح لك الوصل

النوع الثاني ان يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة والامساك
عن المحبوب واختياره وقتا فوقتا فكيف ما احس منه بالاملال امسك
عنه الى حين يتحقق منه ذهاب الملال كما قال الواواء الدمشقي شعر

بالله ربكما عوجا على سكني   وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا في حديثكما   ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفة   ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب   فغالطاه وقولا ليس نعرفه

النوع الثالث ان يكون ذلك عن توبيخ ذنب صدر عن المحب وعلاجه التوبة
عن ذلك الذنب والاقلاع عنه حتى لو رماه محبوبه بذنب لا حقيقة له
اظهر له منه التوبة والتنصل كما قال ابو نواس

الا ايها الجاني ذنبا له الرضا   ويا ايها المخطي ونحن نتوب
لحا الله من يلحاك في القرب وصلا   ومن لا يرد الغيب حين تغيب

النوع الرابع ان يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذي يعسر علاجه ويشق
برؤه ولاهل المحبة فيه مذهبان المذهب الاول التحمل والصبر والمقاطعة والخداع لعله ان ينخدع
او يرق كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه   وان كنت مظلوما فقل انا ظالم
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى   يفارقك من تهوى وانفك راغم

وما احسن قول القايل

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم وتذنبون فناتيكم فنعتذر

المذهب الثاني اخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما قال السلطان ابو عبد الله محمد ابن الاغلب بالله محمد ابن يوسف ابن نصر ابن الاحمر الاندلسي

ايا ربة القرط التي حسنت هتكي علي كل حال كان لابد لي منك
فاما بذل فهو اليق بالهوي واما بعز فهو اليق بالملك

علي ان الصلاح الصفدي لم يرتضي هذا المذهب فقال رادا علي ابن الاحمر

تمسك بذل فهو اليق بالهوي لتنظم مع اهل المحبة في سلك
متي لاق بالعشاق عز وسطوة كانك من ذل المحبة في شرك

ولا شك ان ابن الاحمر تكلم علي قدر مقامه وعزيز مكانته في السطوة والقهر والصلاح الصفدي تكلم علي ما يليق بمقام العشق في نفس الامر فالعشق يذل الاسود ويلين الصلد الا اذا دار الامر بين الذل والوصل فالوصل بالعز اولي كما قلت منتصرا لابن الاحمر ورادا علي الصفدي

اذا لم يكن وصل الي الحبيب مسعف وامسيت تحت الضير والعشق والضنك
ولم استطع صبرا علي الذل في الهوي فبالعز وصل المحبوب اولي من الترك

البيت العاشر

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل

قوله فلا يغرنك ما منت اي واذا كانت علي ما تقدم من الاتصاف بالمكر والكذب والخلاف للوعد وتبديل خليل باخر وعدم الوفا والمداومة علي حال والتلون في الود وعدم الوفا بالعهد فلا يغرنك ما منيتك اياه وما وعدتك اياه والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل وجهين الاول ان يكون خطابا لكل احد كما يقال فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساءك لا تريد مخاطبا بعينه ومنه قوله تعالي ولو تري اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم اذ لم يجعل الخطاب فيه متوجها للنبي صلي الله عليه وسلم والثاني ان يكون خطابا لنفسه وهذا تسميه اهل المعاني والبيان التجريد وهو ان يجرد من

نفسه

نفسه شخصا ويوجه الخطاب اليه كما في قول الاعشي مخاطبا لنفسه

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وحينئذ فيكون فيه التفات من التكلم الي الغيبة ومن حيث انه صدر الكلام في البيت الاول من القصيدة بصفة التكلم بقوله فقلبي اليوم متبول ثم رجع هنا من التكلم الي الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت فيكون قد انتقل من التكلم والخطاب وهو نوع من الانواع الستة المذكورة في انواع البديع اما اذا جعلنا قوله فلا يغرنك خطابا للغير فلا التفات فيه حينئذ ومنت معناه كذبت يقال مناه بكذا يمنيه اذا كذب به اخذا من مني يمني اذا قدر الشي لان الكاذب يقدر الحديث لنفسه ثم يقوله وقوله وما وعدت اي ولا يغرنك ما وعدتك اياه ايضا ويقال وعد بغير الف في جانب الخير كما هو في هذا الموضع ومنه قوله تعالي وواعدنا موسي ثلاثين ليلة وربما وقع في جانب الشر بغير الف ايضا اذا دلت عليه قرينة كما في قوله تعالي وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وقوله ان الاماني والاحلام تضليل بكسر الهمزة من ان تضليل لقوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت والاماني بتزييد اليا جمع امنية يقال تمنيت الشي امناه اذا اشتهي حصوله وحدثت به نفسه وقوله تعالي ام للانسان ما تمني والاحلام جمع حلم بضم الحاء واللام وهو ما يراه النايم ويقال منه حلم بفتح الحاء واللام جميعا ويقال الي جميعا الا انه غلب الرؤيا علي ما يراه في الخير والحلم علي ما يراه في الشر ومنه قوله تعالي اضغاث احلام ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان والتضليل تفعيل من الضلال والمراد التضييع والابطال ومنه قوله تعا الم يجعل كيدهم في تضليل والاصل ان الاماني والاحلام ذوات تضليل فجعلها هي نفس التضليل للمبالغة كما في قوله تعالي هم درجات عند الله ذوو درجات عند الله ومعني البيت لا تغتر بما توجهه اليك من زخرف القول وكذب الوعد ولا تعلق خاطرك بذلك ان الاماني التي يتمناها الانسان والاحلام التي يراها في منامه

تضييع زمان لا فايدة فيه ولا طايل تحته وذلك انه وصفها في البيت السابع والثامن والتاسع بتسعة اوصاف وهي الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل بخليل اخر وعدم المداومة علي حالة والتلون في الود وعدم الوفا بالعهد علي ما تقدم بيانه في موضعه ومن كان بهذه الصفة لا ينبغي ان يوثق له بقول ولا يتعلق له بوعد ومن تعلق بالاماني ووقف مع التمني فقد طمع في المحال وامل ما لا يرجي فاتعب نفسه وشتت خاطره ولما نهي عن الاغترار بما تمنيه وما تعد اكد ذلك بقوله ان الاماني والاحلام تضليل يعني ان الاماني راجعة الي قوله ما منت والاحلام راجع الي قوله ما وعدت ويكون من باب اللف والنشر الاول للاول والثاني للثاني ويكون قد شبهها في الامن بشيين باطلين لا حقيقة لهما اما الاماني فانها مخايل فاسدة وضياع زمان في غير ما لا فايدة فيه قال علي ابن عبيدة الاماني مخايل الجهل وقال افلاطون الاماني حلم المستيقظ ومن كلام بعض الحكما الاماني تخيل وعند الحقايق تدعك قال رجل لابن سيرين رايت كاني اسبح في غير ماء واطير في غير هوا فقال انت رجل تكثر الاماني ولله در الخالدي حيث يقول

ولا تكن في الدنيا عبد المنا ابدا ان المنا راس اموال المفاليس

الا ان العاشق ربما استراح اليه وعلل به نفسه كما يعلل نفسه في طول العمر الامل كما قال بعضهم

في المنا راحة وان عللتنا من هواها ببعض ما لا يكون

ولله در الحارثي حيث يقول

اماني من سعدى حسان كانما سقتنا بها سعدا علي ظما بردا
مني ان يكن حقا يكن احسن المنا والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفه في المنام فانه الخيال الحايل والوصال الذي ليس تحته طايل ولله در القايل

زار طيف من اهوى علي حذر من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت واماني تخيبني نيل المنا فاستحالت غبطتي اسفا

وقول

وقول ابن القطان البغدادي شعر

زار الخيال بخيلا من مراسله لما شفاني من الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني علي الرقاد فيغنيني ويرتحل

ولما كان الطيف بهذه المثابة لم يرض به بعضهم بل نفاه وطرده كما قال طرفة بن العبد

فقل للخيال الحنظلية ينقلب اليها فاني واصل حبل من وصل

علي ان بعض المحبين يانس بالخيال ويتسلى به كما قال البحتري

اذا ما الكرى اهدى الي خيالها شفى قربها التبريح او نقع الصدى
ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا نعذب ايقاظا وننعم هجدا

بل بالغ التهامي حتى فضله علي اليقظة فقال

وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت شتان ما اشبه الوجدان بالعدم
الطيف احسن وصلا ان لذته تخلو عن الاثم والتنغيص والندم

البيت الحادي عشر

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل

قوله كانت اي صارت ومواعيد جمع ميعاد كموازين وميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعدها واو وباء موحدة رجل عرف عند العرب باخلاف الوعد واشتهر بحكايته واختلف في نسبه فقيل هو عرقوب ابن معبد ابن زهير وقيل هو عرقوب ابن صخر ثم اختلف فيه فقيل من الاوس وقيل من العماليق وقيل من بني عبد شمس بن ثعلبة وكان من امره انه وعد اخا له كان اسمه يثرب بن يسار وقال ائتني اذا اطلع النخل فلما طلع اتاه قال ائتني اذا ابلح فلما ابلح اتاه قال ائتني اذا ارطب فلما ارطب اتاه قال ائتني اذا صار تمرا فلما صار تمرا اخذه من الليل ولم يعطه شيا فضرب به المثل في الاخلاف فقيل اخلف من عرقوب وتداوله شعراء العرب في شعرهم قال الشماخ شعر

وعدتني ما لا اطول نفعه مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

وقال علقمة الاشجعي شعر

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

والمثل شيا حاكيت به كان وكذلك قيل للصور المنقوشة تماثيل وقوله وما
مواعيدها الا اي وما مواعيد سعاد ويروي وما مواعيده يعني وما
مواعيد عرقوب والاباطيل جمع باطل والباطل ضد الحق ومعني البيت ان
هذه المراة اشتهرت باخلاف الوعد كما اشتهر به عرقوب فصارت شبها له
في ذلك حتي لو ضرب بها المثل كانت عديمة به ثم انشد وما مواعيدها علي
الرواية المشهورة كان ذلك تاكيدا لاخلافها الوعد فانه ان صرح بانها
عرقوب مثلا في الاخلاف ذكر ان مواعيدها باطلة لا حقيقة لها ولم
يكن يضرب المثل بها حتي وصف مواعيدها الا اباطيل فكانت اسوا حال
في المطل والاخلاف منه وما اولاها حينئذ بقول القايل شعر

لوان الباخلين وانت منهم رءوك تعلموا منك المطالا

وان انشد وما مواعيده علي الرواية الاخري كانت مماثلة لعرقوب في المطل
من غير زيادة عليه واعلم ان المحبين اختلفوا في مطل المحبوب علي مذاهب
فقوم يحملوا طلب اللقا وعدم احتمال الجفا علي مناقشة الحبيب علي اخلافه
ولومه علي عدم موافاته كما قال ابن سناء الملك مخاطبا محبوبه شعر

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم

وعلي هذه الطريقة جري الناظم رضي الله عنه في قصيدته واكثر فيها من
اخلاف الوعد وتعريضها من قوله في البيت السادس اكرم بها خلة لو انها صدقت
موعودها البيت وقوم يستعذبون المطل ويستحلون كواذب الاماني ويتسلون
به عن الوصل كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله تعا

عديني بوصل وامطلي بنجازه فعندي اذا صح الهوي حسن المطل

واخرون ان الوعد والاماني سبب الحياة عند فوات الوصل كما قال العفيف اسحاق

لولا مواعيد امال اعيش بها لمت يا اهل هذا الحي في زمني

وكذلك باختلاف ركيا المحبين في القرب والبعد والقوة والضعف

البيت الثاني عشر

ارجو وامل ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منك تنويل

قوله

قوله ارجوا اي يغلب علي ظني تقول رجوت الشيء ارجوا رجا بالمراد اغلب علي
ظنك حصوله وقوله وامل بمد الهمزة وضم الميم معناه ارجو ايضا يقال املت
الشيء امله بضمها مع المد الا ان الرجا لا يكون الا في الممكن والامل يكون
في الممكن والمستحيل ولذلك حسن الجمع بينهما لحصول مغايرة ما ثم ان جعل قوله
في البيت العاشر فلا يغرنك خطابا للنفس وانه التفت من التكلم في قوله
في اول القصيدة فقلبي اليوم متبول في قوله فلا يغرنك خطابا للنفس علي ما تقدم
كان في قوله التفات ايضا من الخطاب في قوله فلا يغرنك الي التكلم في قوله ارجو
وامل ويكون قد رجع الي حال التكلم الاولي وان جعلنا قوله فلا يغرنك خطابا للغير
فلا التفات كما لا يكون التفات هناك وقوله ان تدنو اي ان تقرب وقوله
مودتها اي مودة سعاد والود خلاف العداوة وقوله وما اخال اي وما اظن
وما اخال بكسر الهمزة علي الافصح ويجوز فتحها وهي لغة شاذة وقوله لدينا
اي عندنا ومنه قوله تعالي والفيا سيدها لدا الباب اي عند الباب وقوله منك
والتقدير ارجوا وامل ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منها تنويل والتنويل
العطا والمراد هنا الوصل ومعني البيت انه مع اتصافها بالجفا واخلاف الوعد
وعدم الوفا بالعهد لا اقطع الرجا من مودتها ولا ايس من وصلها بل ارجو ذلك
واملة وان كان فيه بعد وبيانه من وجهين احدهما انه لما وصفها باوصاف
القطيعة والجفا من اول البيت السابع الي اخر البيت الحادي عشر علي ما تقدم
بيانه في مواضعه اخذته دهشة المحبة فذهل عما هي عليه من ذلك فتعلق
بالرجا وجنح الي الامل فقال ارجوا وامل ان تدنو مودتها اذ لا يليق بالمخلص
ان يقطع رجاه من مطلوب فقد قيل من طلب شيئا ناله او كاد بل ربما كان
غير المرجو اقرب الي الحصول من المرجو قال الحسين ابن علي كرم الله وجهه كن لما
ترجوه ارجي منك لما لا ترجوه فان موسي عليه السلام خرج يقتبس نارا فلم
يظفر بها ورجع نبيا مرسلا ولله در القايل

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم بان الي عقله فتذكر ما هي عليه من الاوصاف المخالفة لذلك فقال وما اخال لدينا

الي الخطاب صح

منك تنويل وهذا النوع يسمونه اهل البديع الرجوع لانه يرجع الي الكلام السابق بالنقض كقول ابن النظير

اليس قليلا نظرة ان نظرتها   ولكن ليس منك قليل

فانه اولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهنا منه حيث عد النظر من محبوبه قليلا فقال وليس منك قليل الثاني ان يكون ان الرجا والامل وقع منه علي سبيل تعليل في الاحسن ومراوحتها كي لا يغلب عليها الاياس كما قيل

اعلل بالهو قلبي لعلي   اروح بالاماني الهم عني
واعلم ان وصلك لا يرجي   ولكن لا اقل من التمني

فان قيل كيف صاغ له نفي حصول المودة بقوله وما اخال لدينا منك تنويل بعد رجائه بقوله ارجو واامل ان تدنوا مودتها فالجواب عنه بوجهين احدهما ما اجاب به ابن هشام ان المودة والتنويل شيان لا شي واحد ولا تمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها الثاني ان يكون نفي حصول التنويل من جنب بعدها وبعد ارضها كما اشار اليه في البيت الذي يليه

البيت الثالث عشر

امست سعاد بارض لا يبلغها   الا العتاق النجيبات المراسيل

قوله امست يحتمل معنيين احدهما ان يكون المراد دخلت في وقت المسا فيكون مقابلا لغداة من قوله في البيت الثاني من القصيدة وما سعاد غداة البين اذ رحلوا ويكون المعني انها رحلت غدوة وامست بارض بعيدة ويكون قد وصفها في رحيلها بسرعة السير بحيث سارت في اليوم الواحد الي مسافة لا تدرك الا العتاق النجيبات المراسيل من الابل علي ما ياتي تفسيره خصوصا وقد تقدم في البيت الثاني انه عبر عن رحيلها بلفظ الجمع اشارة الي انها رحلت مع قومها والقوم انما يرحلون في الغالب باثقالهم فاذا بلغت المسافة البعيدة علي الابل المثقلة كان ذلك في الغاية القصوي من سير الابل الذي رحلت بها وسرعة سيرها الثاني ان يكون امست بمعني صارت ويكون المراد انها وصلت في رحيلها الي ارض بعيدة في الجملة من غير تقدير وهو ابلغ في بعد المسافة لان الوصف مستلزم لطول زمن السير وهذا هو الظاهر وسعاد هي المحدث عنها

عنها اولا واعاد اسمها بعد قوله ان تدنوا مودتها بلفظ الغيبة لانه قصد استئناف نوع اخر من الكلام وهو وصف ارضها بالبعد وذكر ما يتوصل به لذلك من وصف الناقة وقوله بارض اي في ارض كما في قوله تعا وما كنت بجانب الغربي اي في جانب الغرب وقوله لا تبلغها الا العتاق اي لا تبلغ تلك الارض الا النوق العتاق من الابل ومعني يبلغها اي يوصل اليها والعتاق بكسر العين جمع عتيق وهي الكرام الاصول من الابل كانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها منسوب الي نتاج فحل كريم كالامرية منسوبة الي مهرة قبيلة من قضاعة والعيدية منسوبة الي بني العيد وهي مهرة ايضا والارحبية نسبت ايضا الي بني الارحب وهي قبيلة من همدان وهن قبايل معروفة بكرام الابل والعزيزية والشدقمية والجديلية وكالداعرية نسبت الي عزيز وشدقم والجديل وداعر وهي فحول كريمة والنجيبات باسكان اليا جمع نجيبة قيل هي الكريمة الاصل ويكون تاكيدا لقوله العتاق قيل القوية الرقيقة السريعة وقيل النفيسة الفاضلة في نوعها ويروي النجيبات بتشديد اليا وهي السريعات والمراسيل بفتح الميم جمع مرسال بكسرها السريعات من قولهم ناقة رسلة بفتح الرا واسكان السين اذا كانت سريعة ومعني البيت ان محبوبته صارت الي ارض بعيدة لا يوصلها اليها الا النفايس من الابل القوية السريعة السير لبعد مسافة ما بينه وبينها ثم معني البيت يرجع الي مقصدين الاول بفراقها بقوله بانت سعاد ثم اتبعه بالثاني بذكر رحيلها بقوله وما سعاد غداة البين اذ رحلوا واتي علي ذكر اوصافها المحمودة من الحسن والجمال الذي لا يلام علي العشق معه لايم ولا يليق عند الاتصاف به ان يعذل معه عاذل ثم اعقبه بذكر اوصافها في العشرة من الصد والجفا وما في معناه في الابيات المتعددة بعد ذلك ثم اعقبه بذكر ما حملته عليه المحبة من الطمع والامنية بقوله ارجو واامل ان تدنوا مودتها ثم استبعد ذلك في بعيدة لو كانت قريبة ربما امكن استعطافها بالتودد والتملق وغيرها من اسباب الوصلة واستكفي بالنظر ان امكن واقنع بقرب الدار ولله در القايل

وقد زعموا ان المحب اذا دنا   يمل وان النايي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا   علي ان قرب الدار خير من البعد

واعلم ان بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار لا يشفي غليله
ولا يشفي عليله فكيف يصبر علي البعاد او يلذ له طيب الرقاد وكيف يطيق
البعد من يقول شعر

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له ٭ من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

او من يقول شعر

سريت اليه في الظلام كانه ٭ صريع كري والنجم في الافق شاهد
فلو مازجت روحي بتربة روحه ٭ لقلت ادن مني ايها المتباعد

او من يقول شعر

ومن عجبي اني احن اليهم ٭ واسال عنهم من يراهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ٭ ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

المقصد الثاني المبالغة في ذكر البعد بحيث لا يبلغ المقصود اليها الا الابل
لها دون غيرها بالاوصاف المتقدمة والاشارة في البعد فيه من وجهين
الوجه الاول اختيار الابل لها دون غيرها بالاوصاف المتقدمة من نوع
المراكب فان الخيل وان كانت اسرع منها سيرا فانها في العدو والاسراع
علي المسافة القصيرة بخلاف الابل فانها لها قوة علي طول السير مع الاسراع
مع ما ينضم الي ذلك من طاقة حمل الاثقال وناهيك ما اخبر الله تعالي به
عنها من تبليغ المسافة البعيدة بقوله تعالي وتحمل اثقالكم الي بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس الوجه الثاني وصف الابل الموصلة
اليها بالاوصاف البعيدة التي ذكرها لان كل نوع من الابل يوصل اليها
وقد وصف الابل الموصلة اليها بثلاث اوصاف وهي العتاق النجيبات
المراسيل والي هذا الوصف ترجع سائر الاوصاف المحموده وهي راجعه
باعتبار تفاسيرها المتقدمة الي اربعة اوصاف هي المعتبرة في اوصاف الابل
كونها كرام الاصول وهو المعني بالعتاق وذلك ان الكريم الطيب الارومة
لا يصدر عنه الا كريم الفعال كما ان لئيم الاصل لا يصدر عنه الا ضد ذلك كما قيل

كل امري يوما راجع لشيمته ٭ ان التخلق ياتي دونه الخلق

ومازالت

ومازالت العرب تعتبر طيب الاصل وكرم المجد في ابلها وخيلها كما تعتبره
في نفسها الوصف الثاني كونها قوية لانها كلما كانت اقوي واصلب كانت
علي الحمل اقدر وعلي السير ابلغ فتكون علي القصد اعون بخلاف ما اذا سلبت
وصف القوة فانها لا تبلغ الي المقصد وان كانت سريعة لانها ربما تكون
لا تطيق الحمل ولكنه خفيفة في السير

البيت الرابع عشر

وما يبلغها الا عذافرة ٭ لها علي الاين ارقال وتبغيل

قوله وما يبلغها الا عذافرة اي وما يبلغ الارض التي امست بها سعاد
الا ناقة عذافرة والعذافرة بضم العين واسكان الذال وبعد الالف فاء
وراء مفتوحتان الناقة الصلبة العظيمة والجمل عذافر اذا كان كذلك
وقوله لها اي لتلك الناقة والاين بفتح الهمزة واسكان اليا تحت وبعدها
نون الاعيا والتعب والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف
بعدها الف ولام ضرب من السير سريع قال الجوهري هو نوع من الخبب وتبعه
علي ذلك ابن هشام كما قال ذلك في بيت من قصيدة المصري شعر

هل يبلغني اليها حسرة اجد ٭ تخلو بها في الفلا الارقال والخبب

وقال ابن الاثير هو فوق الخبب وفسر في كفاية المتحفظ الخبب بان يرتفع
عدو البعير حتي يراوح بين يديه واعلم ان سير الابل في الاسراع علي مراتب
فاولها العنق بفتح العين والنون وقاف في اخره وهو الذي يتحرك فيه
عنق البعير ودونه وما اعلاه وساير مراتبه فللناس فيه اختلاف لا يحمله
هذا الشرح والذي ذكره ابن اصبغ الازدي في ارجوزته ان اعلاه التشعر
بفتح التا المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها
راء مهملة وهو غاية الطاقة في السير قال والارقال دونه في الرتبة والتبغيل
بفتح التا واسكان البا وكسر الغين بعدها يا ساكنة ثم لام ضرب من السير
ايضا فيه اختلاف بين العنق المتقدم ذكره وبين الهملجة فيكون
اعلا من العنق وكانه شبيه بسير البغل لشدته ومعني البيت انه لا يبلغ
ارض سعاد الا الناقة الشديدة العظيمة التي لا تكل بالتعب ولا بضعف

سيرها بالاعيا اللوح بذلك ولها توسم موصل له الي محبوبته وبالغ بها الي قصدها اطيب في مرحها وامعن في وصفها في هذا البيت بوصفين من اوصاف الابل المحمودة الوصف الاول كونها عظيمة صلبة وهو المعني بالعذافرة واما كونها عظيمة فلما فيه من الزين والجمال المثني في الابل بقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وانما كان ايضا دليل القوة واما كونها صلبة فلانه دليل القوة وكثرة الحمل وناهيك ان الله تعا قرنها في الذكر والامتنان بالسفن اشارة الي عظم خلقها وطاقتها علي الحمل فقال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون الوصف الثاني كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعني بقوله لها علي الاين ارقال وتبغيل وذلك انه اذا كان سيرها مع الاين وهو التعب علي هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها اذا كانت في حال انشاطها ثم قد تقدم ان غاية الطاقة في السير التعنيق والارقال دونه في المرتبة والتبغيل فوق العنق فيكون سيرها في حالة التعب دائرا بين الارقال الذي هو علي مراتب السير بعد التعنيق والتبغيل الذي هو فوق العنق والمعني انه اذا اشتد بها يكون غاية ما ينتهي اليه في تقليل السير التبغيل واذا خف تعبها ترقت الي الارقال في حال النشاط يكون سيرها التعنيق واذا كانت عظيمة صلبة مع اشتغالها علي الخفة والاسراع وعدم الاعيا وحسنت نفسها في السير علي هذا الاسلوب بلغ بها الي البلد البعيد في الزمن القصير

البيت الخامس عشر

من كل نضاخة الذفري اذا عرقت ۞ عرضتها طامس الاعلام مجهول

قوله من كل نضاخة الذفري اي الناقة المذكورة من كل ناقة نضاخة الذفري بالعرق اذا عرقت هو يحتمل معنيين اما ان يريد انها ناقة من النياق المتصفة بهذه الصفة واما يريد اصل وجودها من كل ناقة هي كذلك ويكون ذلك وصفا لها كانه وصفها بكرم الاصل وهذا هو الذي رجحه ابن هشام في اعراب القصيدة والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعد الالف خاء ثم تاء التانيث الكبري الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة اذا كانت كثيرة

كثيرة

كثيرة الماء الغوار ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان والذفري بكسر الذال المعجمة واسكان الفاء والراء المهملة وهي الثغرة التي خلف اذان الناقة والبعير وهي اول ما يعرق منهما واقام المفرد فيه مقام التثنية والمعني نضاختا الذفري لان لكل ناقة ذفريان وقوله اذا عرقت اي انها اذا عرقت نضح ذفراها بالعرق وكانه يصفها بشدة نفسها في المسير حتي يصير العرق يسيل من ذفريها وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول اي عرضتها طريق طامس الاعلام اي عرضة تلك الناقة وهو بضم العين واسكان الراء وفتح الضاد وقد ذكر التبريزي في شرح هذا البيت معنيين الاول من قولهم بعير عرضة للسفر اي قوي عليه وعلي هذا اقتصر ابن الاثير في نهايته ويكون المعني انها قوية علي معرفة الطريق الدارسة الثاني الزمن العارض الذي يعرض للشي فيمنعه ومنه قوله تعا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا اي لا تجعلوا الحلف بالله متعرضا لايمانكم ان تبروا ويكون المعني اذا عرض لها طريق دارس استحثته قال ابن هشام ولا يساغ الواحد من المعنيين في العرضة هاهنا بمعني الهمة فيكون عرضتها في البيت معناه همتها ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

وقال الله قد اعددت جندا من الانصار عرضتها اللقا

والطامس الاعلام المراد به الطريق الدارس الذي محيت اثاره والاعلام العلامات والمراد ما يستدل به علي الطريق من اثر مشي وغيره والمجهول الذي لا يعرف وهو تاكيد لقوله طامس الاعلام مجهول ضرورة ومعني البيت ان هذه الناقة لها اهتمام بالسير ومعرفة بالطريق المجهولة التي لا تدرك وذلك انه وصفها فيه بوصفين الوصف الاول كثرة العرق من ذفريها والعرق لا يكون الا مع اشتداد في السير واهتمام به خصوصا مع ما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة لان العرق مع القوة لا يكون الا من كثرة كد وشدة سير وناهيك به ما وصف به من ذفراها من النضح الذي هو في غاية الكثرة علي ما تقدم شرحه الوجه الثاني المعرفة بالطرقات الطامسة الاعلام الذاهبة الاثار

كثرة الاسفار وسلوكها المفازات وهذا وصف شريف من اوصاف الابل فربما ضل الراكب عن الركب لنوم او غيره فتذهب عليه معرفة الطريق فيهلك فاذا كانت ناقته لها دربة بمعرفة الطريق نجت به من ذلك المفاوز وخلصته من الهلكة وقد حكى ابو علي ابن سينا انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا يهلكوا فيها فعمدوا الى بعير كان معهم فالقوا زمامه على غاربه وارسلوه فسار بهم وما زال يقفوا الطريق حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا قاصدين فسبحان الملهم المعين الذي يعين

البيت السادس عشر

• ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق • اذا توقدت الحزان والميل •

قوله ترمي الغيوب اي ترمي تلك الناقة الغيوب بضم الغين والياء وبعد الواو باء موحدة جمع غيب كفلوس جمع فلس وجمع غايب كشهود جمع شاهد والمراد اثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون وخفيت عن الابصار وقوله بعيني مفرد اي ترمي الغيوب بعينين مثل عيني مفرد وهو الثور الوحشي الذي انفرد عن اشتبه وغلب عليه وصف المفرد كما غلب النجم على الثريا واللهق بفتح الهاء وكسرها الابيض وصف الثور بكونه ابيض والتوقد المراد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزان بكسر الحاء وفتح الزاي وبعد الالف زاي ايضا جمع حزيز بحاء مهملة مفتوحة وزايين بينهما ياء مثناة تحتية الغليظ الصلب من الارض والميل بكسر الميم جمع ميل بفتحها وهو ما تعقد من الرمل وتراكم ومعنى البيت ان هذه الناقة اذا اشتد الحر وتوقدت الرمال والامكنة الصلبة بحر الهواجر وقدت العيون لشدة تاثير الشمس كانت حديدة في غاية تحقيق البصر بمعرفة الطريق الدارسة الاثار وذلك انه لما ذكر في البيت الذي قبله انها تهتدي الطريق الطامس الاعلام المجهولة المسالك بين في هذا البيت وجه اهتدائها لذلك فشبهها بالثور الوحشي الذي قد الف البراري والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على شدة الحر فلم يكن الحر ليمنع في بصرها ولم يؤثر في عينها بان كانت همتها ما هي عليه من استخراج المغيبات في الطريق وخفي المسالك حتى انها بمجرد رمي بصرها الى الارض تدرك

تدرك

تدرك الطريق وتبين السبيل فما ظنك بها في غير هذه الحالة فان قيل لم خص الثور الوحشي بالتشبيه به في حدة البصر دون غيره من الحيوانات ولم خصه بذلك في حالة تفرده دون غيره فالجواب ان الثور الوحشي من احد الوحوش نظرا وانه اذا انفرد عن انثاه يكثر حينئذ تحديقه في النظر ويقوى نشاطه وخفته فان قيل لم خصه بالبياض ولا مدخل للون في تشبيه الناقة بالثور في حدة البصر فالجواب في ذلك معنى اخر غير تحقيق النظر وحدته وهو الحسن لان عين البقر الوحشية في غاية من السواد فاذا الثور هنا مع سواد عينيه ابيض كان في غاية من الحسن

البيت السابع عشر

• ضخم مقلدها عبل مقيدها • في خلقها عن بنات الفحل تفضيل •

قوله ضخم مقلدها اي ما يبلغها الا ناقة عذافرة ضخم مقلدها والضخم بفتح الضاد واسكان الخاء الغليظ والمقلد بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع القلادة من العنق ويجوز ان يريد جميع العنق تشبيه الكل باسم الجزء ويؤيده في البيت الذي يليه غلباء فان المراد بها الغليظة العنق كما سياتي في موضعه ان شاء الله تعالى وقال ابو هلال العسكري رحمه الله تعالى في كتابه الصناعتين ان وصف المقلد بالغلظ من خطا الوصف وانما توصف النجايب برقة المذبح فتعين حمله على جميع العنق وقوله عبل مقيدها اي مقيد تلك الناقة والعبل بفتح العين واسكان الباء الغليظ ايضا والمقيد بضم الميم وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها ويروى فعم بفتح الفاء واسكان العين المهملة بدل عبل وهو معناه وقوله في خلقها عن بنات الفحل تفضيل اي في خلق تلك الناقة عن بنات الفحل والخلق بفتح الخاء واسكان اللام بمعنى الخلقة والمراد بها الاناث من الابل والفحل المراد فحل الابل المعد للضراب والتفضيل المراد به الزيادة في الفضل وهو محتمل لمعنيين الاول ان يريد انها مفضلة على غيرها في عظم الخلقة والضخامة الثاني انها مفضلة على غيرها في حسن التكوين ويحتمل ان يريدهما جملة ومعنى البيت ان هذه الناقة في غاية القوة والضخامة والحسن على ما يقتضيه

شرح كلامه وذلك انه وصفها بثلاثة اوصاف الوصف الاول ضخامة المقلد وقد تقدم ان الظاهر ان المراد به جميع العنق وضخامة العنق دليل ضخامة جميعها متنها وعظمها الوصف الثاني عبالة المقيد على ما تقدم شرحه وكان ذلك منها موذن بقوتها وصبرها على السير وطاقتها على اكثر الحمل الوصف الثالث تفضلها على غيرها من الابل فان حملناه على عظم الخلقة وكبرها كان في معنى ما تقدم من ضخامة المقلد وعبالة المقيد ويكون بين اجزايها مناسبة وهو من صفات المدح ايضا بخلاف ما اذا كان بعض اعضايها لا يناسب بعضا في الضخامة والرقة فانه مما يذم وان حملناه على حسن التكوين كانت قد جمعت بين ذلك وبين القوة في قوله عبل مقيدها كما تقدم وان حملناه على عظم الخلق وحسن التكوين جميعا كانت قد جمعت بين القوة وعظم الخلق وحسن التكوين والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الثامن عشر

غلباء وجناء علكوم مذكرة ، في دفها سعة قدامها ميل

قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة اي وما يليها الا ناقة عذافرة غلباء الي اخره الغلباء بفتح الغين واسكان اللام وبعد الباء الف مد هي الغليظة العنق وقد يجري في غير العنق ايضا كما في قوله تعالى وحدايق غلبا اي غليظة الاشجار والوجناء بفتح الواو واسكان الجيم وبعد النون الف محتملة المعنيين احدهما ان يريد به العظيمة الوجنتين وهما طرفا الخد الثاني ان يريد الصلبة اخذا من الوجين وهو الصلب من الارض والعلكوم بفتح العين واسكان اللام الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوي فيها الذكر والانثى والمذكرة بالذال وفتح الكاف المشددة التي هي في عظم خلقتها كالذكور من الاباعر وقوله في دفها سعة والدف بفتح الدال وتشديد الفاء الجنب والمراد جنباها جميعا والسعة بفتح السين ضد الضيق قوله قدامها ميل ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر بالذراع باربعة الاف ذراع بالهاشمي وهو ذراع قدره بنو العباس حين افضت الخلافة اليهم لقياس الارضين ونسب الي هاشم لكون بني العباس من جملتهم

ومما

ومما وقع لبعض اصحابنا الشافعية من نسبته الي هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم نسب فيه الي الوهم وقال ابو القاسم الزجاجي في شرح مقدمة ادب الكاتب وهو ذراع وثلث بذراع اليد ووقع في كلام الجيلي الشافعي انه ذراع بذراع اليد والظاهر الاول وهو اربعة وعشرون اصبع كل اصبع ست شعيرات معترضات بطن احدهن لظهر الاخرى والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون مستعرضات بطن لظهر وبالخطا اربعة الاف خطوة كل خطوة ثلاثة اقدام وبالبرد باربعة برد كل بريد ثلاثة فراسخ وبالزمن بسير يومين معتدلين لا ليلة بعدهما بسير الاثقال ودبيب الاقدام قوله قدامها ميل يحتمل معنيين احدهما ان يريد طول العنق وان عنقها مد ميل للمبالغة في طوله وعليه اقتصر ابن هشام في شرحه الثاني ان يريد سعة الخطوة وان مقدار خطوتها مد البصر قال بعضهم يصف فرسا

كم سابح اعددته وحبسته ، عند الكريهة وهو نسر طاير
لم يرم قط بطرفه في غاية ، الا وسابقه اليها الحافر

ومعنى البيت انها مشتملة على القوة والصلابة وذلك انه وصفها بستة اوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء على ما تقدم ذكره وقد تقدم في البيت الذي قبله وما يوافقه من شرح قوله ضخم مقلدها فيكون هذا الوصف قد تكرر ذكره في بيتين متواليين وهو اخف من تخصيصه بالمقلد بموضع القلادة على ما تقدم من كلام العسكري ان النجايب انما توصف برقة المذبح الوصف الثاني عظم الوجنتين وهو المراد بالوجناء على ما تقدم وهو من الاوصاف المحمودة والابل بخلاف الخيل فانه يحمد فيها قلة لحم الخدين فان حمل لفظ الوجنا على الصلبة وهو الشرح الثاني فيها كان ذلك موافق لاحد معنيي العذافرة في البيت الرابع عشر فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الوصف الثالث بكونها شديدة وهو المراد بالعلكوم وهو المراد بالقوة وقد تكرر وصفها به فلا شك انه اعلى اوصافها الوصف الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة

وقد تكرر الوصف ايضاً علي انه قد يراد بالمذكرة ما اعم من عظم الخلقة فقد قال بعض
الحكما ان المذكرة من الابل احسن خلقا واقل عيشا واعز نفسا واكرم عهدا
وادوم ودا واصبر علي المكروه النازل به من الادمي الوصف الخامس كونها
انها واسعة الجنبين وهو موكد للوصف الرابع لاستلزام عظم الخلقة
الوصف السادس طول العنق وهو المراد بقوله قدامها ميل علي الحد الترجيحي
فيه وفيه من تمام حسنها ويكون قد وصفها في اول البيت بغلظ العنق وفي
اخره بطوله فاكمل لها الوصفين جميعا وان حملنا قدامها ميل علي سعة الخطو
كان وصفا لها بسرعة السير الذي هو المقصود الاعظم فقد تكرر

البيت التاسع عشر

وجلدها من اطوم ما يؤيسه ٭ طلح بضاحية المتنين مهزول ٭

قوله وجلدها من اطوم اي جلد تلك الناقة والاطوم بضم الطاء بكل حال
وهو بفتح الهمزة الزرافة وقيل السلحفاة البحرية او سمكة غليظة الجلد
يشبه جلد البعير الاملس يتخذ منها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال
ويكون التقدير وجلدها كجلد الاطوم وقوله ما يؤيسه طلح اي ما يؤثر فيه طلح
ويؤيسه بضم الياء المثناة من تحت وفتح الهمزة وتشديد اليا المثناة
من تحت المكسورة وضم السين والطلح بكسر الطاء واسكان اللام وبعدها
حاء مهملة القراد وقوله بضاحية المتنين اي ما يوثر الطلح المذكور في
ضاحية المتنين والمراد بالضاحية البارزة للشمس ومنه قوله تعالي
وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحي اي ولا تبرز للشمس والمتنين جانبا
ظهرها وهو ما اكتنف صلبها من يمين ومن شمال من لحم وعصب
وقوله مهزول ما يؤثر فيه طلح مهزول ومعني البيت ان هذه الناقة في
غاية الصلابة لسمنها وضخامتها بحيث ان القراد لا يؤثر في جلدها
وذلك انه ان فسرنا الاطوم الذي جعل جلدها منه بالزرافة والسلحفاه
البحرية والسمكة الغليظة الجلد كان وصفها باغلظ جلد واصلبه وان
شرحناه بالحصون المبنية بالحجارة كان ابلغ في الصلابة ثم اكد ذلك
من ثلاثة

من ثلاثة اوجه الاول انه جعل ظهورها في هذه الحالة بارزا للشمس وهذا المراد
بالضاحية علي ما تقدم ذكره والمعني فيه ان القراد في الشمس تقوي همته
وتهيج حركته واشتداده علي امتصاص الدم بخلاف حالة البرد فانه تضعف
قوته فاذا عجز عن التاثير فيها في حالة بروزها للشمس فلانه يضعف في
البرد وفي الوجه الثاني لا يستطيع التاثير في جلدها مع شرة الجوع الذي هو
فيه اشد انهماكا علي امتصاص الدم واكثر ولوعا والله تعالي اعلم بالصواب

البيت العشرون

حرف اخوها ابوها من مهجنة ٭ وعمها خالها قوداء شمليل ٭

قوله حرف اي تلك الناقة حرف والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهي القطعة
الخارجة عنه شبهها به لقوتها وانها لا تتاثر بما ياتي عليها كما ان حرف الجبل
لا تتاثر بما ياتي عليه لصلابته اذ يتصدع ما حوله ويتساقط لطول
الزمن وحرارة الشمس وانجراف السيول ولا يبقي فيه الا اصلب الحجر
واشده ولا يجوز ان يراد بالحرف في كلامه حرف الكتابة اشارة الي رقتها
وضمورها لان ذلك ينافي ما تقدم من وصفها بعظم الخلقة وسعة
الجنب وغير ذلك وقوله اخوها ابوها يحتمل معنيين الاول ان يكون
اخاها يشبه اباها في الكرم فتكون موصوفة بكرم النسب وجودة
الاصول الثاني ان يريد ان اخاها اباها حقيقة ويكون المعني انها ابل كرام
يحمل بعضها لحفظ اصولها وتصويره ظاهر وهو ان يضرب فحل امه فتاتي
بناقة فيكون ذلك البعير ابوها وهو اخوها لامها وقوله من مهجنة
اي تلك مولدة من ناقة مهجنة او من نياق مهجنة بضم الميم وفتح الهاء
وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون الكريمة الابوين من الابل وهو مما
يمدح هاهنا واصل المهجنة عظم الخلق وغلظ العنق والهجين من الخيل
ما كان ابوه عربيا وامه عجمية وهو عيب ونقص في الخيل وقوله وعمها
خالها يحتمل ايضا وجهين من الوجه الاول ان عمها يشبه خالها في الكرم
الوجه الثاني ان عمها هو خالها حقيقة وصورته ان يضرب ابو ابيها

ام امها فتناجي ببعير فذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها لانه اخو امها لامه ويمكن ان يتصور بصورة اخري وهي ان اخاها من ابيها ضرب اختها من امها فاتت ببعير فيكون ذلك البعير عمها لانه اخو ابيها لابيه وخالها لانه اخو امها لامه علي ان مثل هاتين الصورتين تتاتي في الادميين في الانكحة الشرعية اما تصور ان يكون اخوها ابوها وعمها خالها في صورة واحدة وهو ان يضرب فحل بنته فتناجي ببعير فيضربها احدهما فتناجي بناقة فابوها احد البعيرين وهو اخوها لامها وعمها البعير الثاني لانه اخو ابيها لابيه واحد وخالها لانه اخو امها لابيه وقوله قوداء بالمد وهو بفتح القاف واسكان الواو وبالدال المهملة الطويلة الظهر والعنق وقوله شمليل بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء ولام الخفيفة السريعة ومعني البيت ان هذه الناقة مع كرم اهلها خالصة النسب لم يشبها شائبة في نسبها ولانه عمها عرق في كرمها وذلك انه جعل علامتها في النسب في الابوة والامومة والاخوة راجع الي اصل واحد لم يخالطه غيره من ابل اخري يوشك ان يكون غير جنسه واعلم انه قد صدر البيت بقوله حرف وقد تقدم ان المراد بالحرف الصلبة القوية ثم اتبعه بذكر تخلل نسبها اشارة الي ان مثل ذلك يوثر في الابل القوة لرجوعها الي نسب محقق فيه ذلك الا ان مثل ذلك اذا وقع في الادميين اثر الضعف ونحافة البدن وقد روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوي الشديد النحيف والمعني فيه ان الشهوة انما تثور بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوي الاحساس بالامر الجديد الغريب اما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عند تمام ادراكه والتاثر به فلا تثور الشهوة وهذا المعني مفقود في الابل فانها مجرده شهوة من غير عقل فكانت شهوتها في الغريب وغيره علي حد واحد انما يعتبر فيها بقوة الفحل واصالته ثم انه لما اثبت للناقة كرم الاصل

بقوله

بقوله من مهجنة وخلوص النسب بقوله اخوها ابوها وعمها خالها رتب لها ذلك علي صفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولي طول الظهر والعنق وهي المعني بقوله قوداء علي ما تقدم شرحه وهو من اوصاف الابل التي يمتدح بها الصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل وهو من اجمل الاوصاف التي فيها فان قيل قد ذكر وصف الخفة والسرعة بقوله النجيبات المراسيل علي ما تقدم اعاده هنا ووصف بطول العنق بقوله قوداء الجواب ان ذكر السرعة اولا راجع الي الوصف العام في الابل حيث قال امست سعاد بارض لا يبلغها الا العتاق البيت وذكره هنا مقصود علي هذه الناقة المخصوصة وكيفما كان فالخفة والسرعة هي المطلوبة في الناقة لهذه الحالة الغرض سرعة توصله الي محبوبته مع بعد مسافة ما بينه وبينها وان وصف طول العنق فانه في قوله قدامها ميل جعله وصفا مستقلا بهذا المعني وفي قوله قوداء اراد به طول الظهر وطول العنق جميعا فيه ٭

البيت الحادي والعشرون

٭ يمشي القراد عليها ثم يزلقه ٭ منها لبان واقراب زهاليل ٭

قوله يمشي القراد عليها اي علي الناقة والقراد بضم القاف احد القردان كالغلام واحد الغلمان وقوله ثم يزلقه منها لبان بفتح اللام قيل هو الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين الثديين والمراد ان القراد يزلق من هذا المكان والاقراب بهمزة مفتوحة وقاف ساكنة وراء مهملة وبعد الالف باء موحدة الخواصر كابعاد جمع بعد وقوله زهاليل بفتح الزاي الملس ومعني البيت ان جلد هذه الناقة في نهاية الملاسة لسمنها بحيث ان القراد لا يثبت عليها بل اذا وقع علي جسدها زلق وسقط عنه وذلك مما يستحسن في اوصاف الابل وهذا البيت في الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من اطوم البيت المتقدم قال ابن هشام لو ذكره الي جانبه كان اولي وذلك انه في ذلك البيت وصف جلدها بالصلابة بحيث ان الطلح هو القراد لا يوثر فيه لصلابته وهذا قدر زائد علي ذلك وهو ملاسة جلدها بحيث ان القراد يزلق من عليه

الذي هم

كان قيل لم خص البدن والخواصر بازلاق القراد دون غيرها من سائر بدنها الجواب ان هذين الموضعين احسن ما يكون في الناقة لملاستهما الارض اذا بركت فاذا كان القراد يزلق عنها لملاستها فلان يزلق عن غيرها من باب اولي فان قيل عطف قوله يزلقه بثم وهي للتراخي لانك ان قلت جاء زيد ثم عمرو كان يقتضي ان بين مجيئهما زمن مهلة فان كان كذلك فيقتضي قوله يمشي القراد عليها ثم يزلقه منزلبان الي الحزم ان القراد لا يزلق عنها بسرعة بل يبقي زمانا الجواب ان ثم قد تقع في كلام العرب لغير الامهال كما في قول الشاعر ٭ كهز الرديني تحت العجاج جري ٭ في الانابيب ثم اضطرب ٭ اذ ليس المراد تاخر اضطراب الرمح عن زمن جريان هزه في الانابيب فلذلك لا يراد هنا تطاول من مشي القراد عليها وتراخي الازلاق عنها والله اعلم بالصواب

البيت الثاني والعشرون

٭ عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ٭ مرفقها عن بنات الزور مفتول ٭

قوله عيرانة اي تلك الناقة عيرانة والعيرانة بالعين المهملة واسكان اليا وبعدها الالف نون ثم هاء التانيث المشبهة في صلابتها عير الوحش وهو حماره وقوله قذفت بالنحض اي رميت به قوله تعالى ويقذفون بالغيب وقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ويروي قذفت بتشديد الذال للمبالغة والنحض بفتح النون واسكان الحاء المهملة وبالضاد المعجمة اللحم وقوله عن عرض اي جانب والعرض بضم العين والراء وبالضاد الجانب والناحية والمراد انها رميت باللحم من جوانبها او نواحيها من شرح الشمسي وقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول عن بنات زورها والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء معروف وهو مما قام فيه المفرد ايضا مقام المثني ان لها في الحقيقة مرفقان والبنات جمع بنت والمراد هنا ما حول الزور وما يتصل به من الاضلاع والزور قيل جميع الصدر وقيل اوسطه وقيل اعلاه والمفتول المتجافي والمراد ان مرفقها جاف عن صدرها ومعني البيت ان هذه الناقة تشتمل علي ثلاث صفات تكون في الابل

المحموده

المحمودة الصفة الاولي شدة الصلابة بحيث انها تشابه حمار الوحش في قوتها وصلابتها وذلك ان حمار الوحش من اشد الحيوانات قوة واصلبها جسدا وقد تكرر له وصف الصلابة في الناقة في غير موضع الاتي بالفاظ مختلفة مجرس التكرار في موقعهما وقد يريد بذلك التاكيد فان هذا الوصف هو المقصد الاعظم من الابل علي ما تقدم ذكره قبل ذلك الصفة الثانية السمن وهو المعني بقوله وقذفت بالنحض عن عرض علي ما تقدم شرحه وقد تكرر له ايضا هذا الوصف ايضا بالفاظ مختلفة والمعني تكراره انه وصفها بالسرعة والخفة وجهدها التي تكون خارقة للعادة الصفة الثالثة في مرفقها عما حول زورها وهو المعني بقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول والمعني فيه انه اذا كان مرفقها علي افيان عن صدرها لا يصيبها ضاغط ولا مار فيكون اسلم لها في السير وابعد لها في العطب والمفتول المدمج المحكم والله تعا اعلم

البيت الثالث والعشرون

٭ كانما فات عينيها ومذبحها ٭ من خطمها ومن اللحيين برطيل ٭

ما في كانما اسم بمعني الذي موضعه نصب بكان والخبر بقوله برطيل وفات قال ابو عمرو معناه تقدم وقال الاصمعي الوجه كانه قابت العينين لا الجبهة وقال هو ما انقطع من المذبح وفات العينين ومذبحها منصوب بالعطف علي عينيها والمذبح والمنحر واحد والخطم قال ابو عبيد والانف ورد عليه ذلك بانه لا يختص بالانف بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن وقد يشتمل في الادمي كقول ابن العجاج يصف امراة ٭

٭ ازمان ابدت واضحا مفلجا ٭ اغر براقا وطرفا ابرجا ٭
٭ ومقلة وحاجبا مزججا ٭ وفاحما ومرسنا مسرجا ٭

الابرج الذي بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شيئا يقال امراة برجا بينة البرج ورجل ابرج وجمعها برج بوزن البرج واحدي البروج ولم يسمع وصف الانف بالمسرج قبل العجاج واختلف اهل اللغة في معناه

ابو علي ثلاثة اقوال الاول كالمسراج في البريق والثاني انه يحسن من قولهم
سرح الله وجهه اي حسنه ولم يذكر صاحب المحكم سواه والثالث كالسيف
السريجي في الرقة والاستوي وهو منسوب الي قين يقال سريج ولم يذكر التبريزي
غير هذا القول قال الاصمعي ما كنت اعرف المسرج ولا اسمعه الا في بيت العجاج
فسالت عنه اعرابيا فقال الا تعرف السريجيا يعني السيوف فقلت نعم فقال ذلك
اراد انتهي وارجح الاقوال من حيث الصناعة الثاني لان صيغة المفعول لا تشتق
من اسماء الاعيان كما السراج وشذ نحو قولهم البي ذلك ولا من اسماء النسب كالسريجي
وانما يشتق من الفعل وارجحها من حيث المعنى الاخير لانه نظيره بانه يخص
الانف واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان ينبت عليهما اللحية من الانسان
ونظيره ذلك من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر الباء معول من حديد ايضا
وحجر مستطيل وصفها

بيان المسريجي

البيت الرابع والعشرون

• تمر مثل عسيب النخل ذا خصل • في غارز لم تخونه الاحاليل •

تمر بضم التاء المثناه من فوق مضارع امر منقول بالهمزة من مر وفاعله ضمير
الناقة ومثل صفة المحذوف اي ذنبا مثل عسيب النخل وعسيب النخل
جريده الذي لم ينبت عليه الخوص فان نبت يسمى سعفا واما عسيب في قول
امرئ القيس •

• اجارتنا ان الخطوب تنوب • واني مقيم ما اقام عسيب •
• اجارتنا انا غريبان هاهنا • وكل غريب للغريب نسيب •
• فان تصلينا فالقرابة بيننا • وان تهجرينا فالغريب غريب •

هو اسم جبل دفن فيه امرئ القيس وذا صفة ثانية او هو المفعول ومثل
حال منه وكانت في الاصل صفة له ثم تقدمت عليه والخصل جمع خصلة
من الشعر وفي معنى في نفسها في قوله تعالى في جذوع النخل وقول الشاعر

• بطل كان ثيابه في سرحة • يحذي نعال السبت •

والغارز بمعجم الطرفين والمراد به هنا الضرع وجعل التبريزي اصله
من قولهم غرزت الناقة بالفتح تغرز بالضم اذا اقل لبنها والاداري
ما معنى

ما معنى الاصل وتخونه اصله تتخونه اي تنقصه لانه يقال تخونني
فلان حقي بتاءين فحذفت احداهما كما حذفت من تتلون في قوله تلون في اثوابها
الغول والاحاليل بفتح الهمزة وبالحاء مخارج اللبن من الضرع والثدي والمعنى
انها حايل لا تحلب حتى ينقص الضرع بالحلب وجعل نفي النقص عن ضرعها نفيا
له عن جميعها ومعنى البيت ان هذه الناقة تشتمل على ثلاث صفات من
الصفات المحمودة في الابل الاول غلظ ذنبها وطوله مستفاد ذلك من قوله
عسيب النخل على ما تقدم بيانه وهو من الصفات المحمودة التي تكون في الابل
الصفة الثانية كونه كثير الشعر وهو المعنى بقوله ذا خصل وهو من الصفات
المحمودة في تكوينها ايضا الصفة الثالثة كونها حايل لم تحلب اللبن لان ذلك يكون
اقوى لها في السير وهو من الفعال المحموده

البيت الخامس عشر

• قنواء في حرتيها للبصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل •

قوله قنواء في حرتيها القنوا بفتح القاف واسكان النون وبالمد هي المحدوبة
الانف ومنه قيل للرجل اقنا اذا كان كذلك ويروي وحنا بدل قنوا والحرتان
بضم الحاء وتشديد الراء وبعدها تاء مثناه من فوق ثم الف ونون
الاذنان وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال
للصحابة رضي الله عنهم ما حرتيها قال بعضهم عيناها ثم سكت الباقي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هما اذناها والبصير بها المراد به العارف بالابل
والعتق بكسر العين وفتح التاء وفي اخره قاف كرم الاصل واللبن الظاهر
والخدان جانبا الوجه والتسهيل ان يكون اسيلين الارتفاع فيهما ومعنى
البيت ان هذه الناقة تشتمل على ثلاثة اوصاف الوصف الاول كونها
قنوا وقد عد في جملة الاوصاف المحموده من الابل لكن المنقول عن العرب
ان القنا عيب في الابل كما هو عيب في الخيل وان انشد على الرواية الاخرى
وهي وحناء لزم منه التكرار لتقدم هذا الوصف في البيت الثامن عشر
في قوله غلبا الا انه يقدم هناك شرح الوحنا بمعنيين احدهما

الصلابة والثاني العظيمة الوجنتين فيجوز ان يكون قصده هناك معني الصلبة لانه تكلم هناك في عظم خلقها والمناسب لعظم الخلقة هو الصلابة والقوة وان يكون قصده هنا العظيمة الوجنتين لانه هنا تكلم في حسن الوجه والراس من الانف والاذنين والخدين فلا يلزم فيه تكرار المعني وان تكرر في الوصف فهو اولى الوصف بما يعد عيبا في الابل بل الوصف الثاني حسن اذنيها بحيث انه اذا تاملها من له معرفة بكرام الابل حكم عليها بانها من النوق العتاق الكرام الاصول واعلم ان للمستحسن في الابل مما يدل علي كرم الناقة طول اذنيها والمحاسن الدالة علي كرم الاصل لا يدركها الا العالم بشانها كما في الخيل واشار اليه بقوله مبين علي ان دلالة اذنيها علي عتقها لا يخفي علي ذي بصيرة الوصف الثالث تسهيل خديها بحيث لا نتو فيهما ولا ارتفاع وهو من الصفات المحمودة في الابل فان قيل كيف يجمع الوصف بتسهيل الخدين مع الوصف بكونها وجناء علي شرحه بعظم الوجنتين وهو ينافي تسهيل الخدين فالجواب انه قد تقدم هناك ان المراد بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز ان يكون خداها في نفسها اسيلين مسترسلين وطرفاهما فيهما غلظ وارتفاع ويكون كل منهما معدودا من المحاسن

البيت السادس والعشرون

تخدي علي يسرات وهي لاحقة • ذوابل مسهن الارض تحليل

قوله تخدي بفتح التا واسكان الخاء وكسر الدال ثم يا ساكنة تسير الوخد وهو ضرب مرتفع من السير يقال خدي يخدي خديا ووخد يخد وخدا وقوله علي يسرات اي علي قوايم خفاف واليسرات بفتح اليا والسين مأخوذة من اليسر وقوله وهي لاحقة اي تلك اليسرات لاحقة ومعناها غافلة لاشتغالها بالسير وقوله ذوابل بالذال والبا وهي ذوابل ايضا شبهها بالرماح الذوابل واشار الي صلابتها وقوتها وقوله مسهن الارض تحليل اي مس قوايمها الارض بخفة اخذا من قولهم فعلت تحلة قسم والمعني انها تسرع قوايمها لشدة السير ومعني البيت ان هذه الناقة

في غاية

في غاية الاسراع في سيرها وذلك انه وصف قوايمها في السير بخمسة اوصاف الاول انها تسير الوخد وهي من اسرع انواع السير وهو المعني بقوله تخدي علي ما تقدم شرحه الوصف الثاني خفة قوايمها باليسرات الوصف الثالث الضمور والرقة وهو المعني باللاحقة والذوابل اذا كانت القوايم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية فيكون ذلك اسرع لوقوع قوايمها ووسطها وان انشد علي الرواية الاخري وهي لاهيه اي بدل قوله لاحقة كان المعني انها لاهية اي غافلة عن السير غير مكترثة به مع اسراعها فيه وذلك نتيجة لها وهي تعقله مع غفلتها وهو اولى من حيث تعدد المعني اذ اللاحقة والذوابل متقاربان في المعني الوصف الرابع صلابة قوايمها وهو المعني بقوله ذوابل علي ما تقدم بيانه لانها قد تكون ضامرة القوايم وليست بصلبة واذا اجتمع فيها الوصفان كمل حسنها الوصف الخامس سرعة رفع قوايمها عن الارض وهو المعني بقوله مسهن الارض تحليل وان كانت قوايمها مشتملة علي هذه الاوصاف كانت في غاية اسراع السير فان قيل كيف ساغ ان يصف قوايمها بالضمور والرقة بعد قوله فيما تقدم نعم قيدها مشير الي غلظها موضع القيد منها وهو مستلزم لغلظ جميع القايمة الجواب ان المراد هناك غلظ العظم والعصب وهو قلة اللحم فلا منافاة بينهما

البيت السابع والعشرون

سمر العجايات يتركن الحصا زيما • لم يقهن رؤس الاكم تنعيل

قوله سمر العجايات السمر جمع اسمر كحمر جمع احمر وهي من اوصاف الرماح والعجايات بضم العين وفتح الجيم وبعد الالف يا مثناة تحت وتا مثناة فوق جمع عجاية وهو من الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل لحمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبتي البعير الي الفرسنة وشبه عصبها او لا بحر قوايمها بالرماح لقوتها وصلابتها وقوله يتركن الحصا زيما ويتركن يجعلن والحصا مفعول زيما بكسر الزاي وفتح اليا المتفرقة وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل اي ليس بين تلك العجايات وبين الاكم التي تمر عليها تنعيل يقيها منها والاكم بضم الهمزة واسكان الكاف الروابي المرتفعة من الارض ومعني البيت ان هذه الناقة صلبة الاعلي

صلبة الاسفل شديدة وذلك انه وصفها بثلاثة صفات الصفة الاولى صلابة العصب من قوله سمر العجايات حيث شبهها بالرماح لقوتها الصفة الثانية شدة وطيها الارض بحيث انها تفرق الحصا اذا وصلته وقد قيل في قوله تعالى والعاديات ضبحا انها الابل وفسر قوله فالموريات قدحا اذا اشتد سيرها وقعت الحجارة بعضها على بعض فقدحت النار وان كان المشهور ان المراد في الاية الخيل الصفة الثالثة صلابة خفافها بحيث انها مع كثرة السير لا تحتفي ولا تحتاج الى تنعيل مع طول المدة وانما خص الاكم التي هي الروابي بالذكر دون غيرها من الارض لانها قليلة السلوك فتبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها فانها اذا كانت لا تحتاج الى تنعيل لمثل ذلك فغيره اولى والله تعالى الموفق للصواب واليه المرجع والماب

البيت الثامن والعشرون

كان اوب ذراعيها اذا عرقت ۞ وقد تلفع بالقور العساقيل

قوله كان اوب ذراعيها اذا عرقت الى اخر قوله في البيت الحادي والثلاثون ذراعا عيطل نصف وسياتي هناك ان المراد من التشبيه الاسراع بحركة ذراعيها في السير ان شاء الله تعالى الاوب بفتح الهمزة واسكان الواو وبعدها باء موحدة سرعة تقليب اليدين والرجلين وقوله اذا عرقت كناية عن وقت الهاجرة وكانه يقول كان سرعة تقليب يديها في وقت اشتداد الحر ذراعا عيطل الى اخره وقوله تلفع بفتح التاء المثناة فوق واللام والفاء المشددة والعين المهملة معناه التحف والقور بضم القاف وبعد الواو راء مهملة جمع قارة وهي الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين والسين وبعد الالف قاف المراد به السراب والتقدير وقد تلفعت بالقور العساقيل قيل ان الجبال الصغار هي التي تلتحف بالسراب لان السراب يلتحف بها فوقع القلب في كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي والمراد ادخلت راسي في القلنسوة ومعنى البيت ان سرعة حركة ذراعي هذه الناقة في السير يكون في شدة وقت الهاجرة ووقوع الحر في غاية الاسراع فما ظنك بها في غير هذا الوقت وان لم يصرح بالحر فقد اشار اليه من

وجهين

وجهين الاول عرقها مع ما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة والناقة التي بهذه الصفات لا تعرق لاعيا ولا تعب وانما تعرق لشدة الحر وان كانت لا تتاثر به الوجه الثاني قوة السراب وغلبته بالمفازة حتى انه علا صغار الجبال وغطاها وذلك لا يكون الا في وقت الهاجرة والله اعلم بالصواب

البيت التاسع والعشرون

يوما يظل به الحرباء مصطخدا ۞ كان ضاحيه بالشمس مملول ۞

قوله يوما كان اوب ذراعيها اذا عرقت يوما يعني ان الاوب والعرق وقع في ذلك اليوم نصفه وقوله يظل بفتح الياء والظاء معناه يصير الحرباء بكسر الحاء واسكان الراء والباء الموحدة وهو حيوان له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس بيديه ويدور معها كيف ما دارت وهو في الظل اخضر ويتلون الوانا بحر الشمس وكنيته ابو قرة وكنية انثاه ام حبين والمصطخد بضم الميم واسكان الصاد وفتح الطاء وكسر الخاء وبالدال المهملة المصطلي بحر الشمس وقوله كان ضاحيه اي كان ذلك الحرباء والضاحي بالضاد والحاء البارز للشمس كما تقدم بقوله بضاحية المتنين ومنه قوله تعالى وانك لا تظما فيها ولا تضحى اي ولا تبرز للشمس والمراد هنا ما برز من الحرباء للشمس وقوله مملول بفتح الميم الاولى واسكان الثانية وضم اللام بعدهما المتلظي بحر الرمضا اخذا من قولهم مللت الخبز اذا جعلته في الملة بفتح الميم وهي الرماد الحار ومعنى البيت ان هذا اليوم الذي حصل من هذه الناقة في غاية الاسراع في السير من شدة حره وهو يوم يصير الحرباء مصطليا بالشمس ليغتنم بها حتى كان ما برز منه للشمس خبز ملة قد انضجته النار بشدة حرها واذا كان هذا سيرها في هذا اليوم الشديد الحر ففي غيره اقوى واشد واسرع

البيت الموفي ثلاثون

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ۞ ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا

قوله وقال للقوم حاديهم المقول لهم هو قوله في اخر البيت قيلوا والمراد بان الحادي في تلك الحالة التي تلفح فيها الجبال بالسراب امرهم بالقيلولة والورق بضم الواو واسكان الراء وبعدها قاف الخضر المائلة السواد

والجنادب بجيم مفتوحة بعدها نون والالف ثم دال مهملة مكسورة وباء موحدة من جنس الجراد وقوله يركضن الحصا اي دفعنه ومنه قوله ركض الدابة اي دفعها في جنبها برجليه لتسير اذ المعنى ان الجنادب تقعن علي الحصا فتوقع بعضها الي بعض لقوتها وقوله قيلوا امر بالقيلولة وقد تقدم الاشارة في اول البيت ومعناه في هذا البيت من شدة حره وهو امر كان للحادي الذي من شانه ينشط الابل للسير ناظرا امرا الامر القوم بالقيلولة اشفاقا علي الابل وكان ذلك يوصف الجنادب بكونها ودقافاتها لا تكون بهذا اللون الا في القفار الموحشة الشديدة الحر البعيدة الما كما تقدم فتكون مع سيرها في الحر الشديد فيها صبر علي العطش والسير في القفار عند عجز غيرها

البيت الحادي والثلاثون

شد النهار ذراعا عيطل نصف • قامت فجاوبها نكد مثاكيل •

قوله شد النهار بفتح الشين وتشديد الدال المفتوحة والمراد بشد النهار ارتفاعه تقول جئتك شد النهار اي وقت ارتفاعه والمعنى ان ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة في شدة الحر وقوله ذراعا عيطل هو خبر كان في قوله في البيت الثامن والعشرون كان اوب ذراعيها اذا عرقت كما تقدمت الاشارة اليه والتقدير كان اوب اوب ذراعيها اوب ذراعي هذه الناقة كالعيطل والعيطل بفتح العين واسكان اليا وفتح الطا بعدها اللام الطويلة والمراد هنا المراة التامة القامة والنصف بفتح النون والصاد المهملة وبعدها فا التي بين الشابة والكهلة وقوله قامت اي قامت المراة فجاوبها نكد والنكد بكسر النون واسكان الكاف وبعدها دال التي لا يبقى لها ولد والمثاكيل بفتح الميم وثا مثلثة بعدها الف وكاف مكسورة ثم يا ساكنة بعدها لام الكثيرة للجبال بالسراب واصطلاد الحربا للشمس حتى ينضج جلده من شدة حرها وضجر الحادي واشفاقه علي الابل من شدة الحر والصبر في الفلاة وقت ارتفاع النهار ذراعاها في سرعة السير كذراعي امراة طويلة قامت تلطم وجهها لشدة حزنها علي ولدها فجاوبها نسوة فقدن اولادهن وذلك انها اذا رات حزن غيرها علي

علي ولدها وشدة ما عليها من اللطم اشتد فعلها وقوي ترجيعها عند النايح وهذا التشبيه في غاية الحسن فان قيل ما المعنى في وصفها بالطول في قوله عيطل وبالتوسط في السن في قوله نصف الجواب ان الطويلة تكون اطول ذراعا فتكون اوسع خطوة فاذا وافقها سرعة الحركة مع ذلك كان في غاية الاسراع واما التوسط بالسن فانه يحسن لكمال قوتها وبلوغ اشدها وتمام قامتها اذ تكون قد انتهت في الطول فتكون امد للخطوة وامكن

البيت الثاني والثلاثون

نواحة رخوة الضبعين ليس لها • لما نعى بكرها الناعون معقول •

قوله نواحة اي كان ذراعيها في تلك الحالة ذراعا عيطل نواحة والنواحة بفتح النون وتشديد الواو وبعد الالف حاء مهملة مفتوحة ثم ها التانيث التي بالغت في نوحها علي ميتها والرخوة بكسر الرا واسكان الخا وفتح الواو المسترخية والمراد بالضبعين العضدان بفتح الضاد واسكان البا وفتح العين وبعدها يا ثم نون وقوله ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول ان ليس لما نعى بكرها من اولادها معقول والنعي عبارة عن الاخبار بموت الميت والاذاعة وندبه والبكر بكسر البا واسكان الكاف اول اولاد الام والناعون المخبرون بالموت النادبون له والمعقول هنا بمعنى العقل ومعنى البيت ان هذه النايحة التي شبه ذراعي الناقة في سرعة الحركة بذراعيها مع كثرة نوحها مسترخية العضدين فيداها بها سريعتها الحركة وانها لما اخبرها الناعون بموت ولدها لم يبق لها عقل فهي مع استرخا وسرعة حركة يديها وفرط نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس بالاعيا والتعب فكانت نياحتها حينيذ اشد وابلغ وكذلك هذه الناقة في سيرها ويوكده قوله في البيت السادس والعشرون وهي لاهية علي احدى الروايتين كما تقدم هناك وقد وقع المبالغة من اربعة اوجه احدها صفة نواحة مبالغة مقتضية لكثرة النوح الثاني ان الرخوة الضبعين اسرع حركة من غيرها الثالث ان ولدها المنعي اليها هو بكرها واعز اولادها الرابع انه نعي اليها وجاءها خبره من بعيد ولم تكن ممرضة له فتتسلي بتمريضه والله اعلم بالصواب

البيت الثالث والثلاثون

تفري اللبان بكفيها ومدرعها ۔ مشقق عن تراقيها رعابيل

قوله تفري بفتح التا واسكان الفا وكسر الرا وبعدها يا اي تقطع واللبان بفتح
اللام الصدر وقد تقدم بقوله يمشي القراد عليها ثم يزلقه لبان وقوله ومدرعها
اي ومدرع تلك النواحة والمدرع بكسر الميم واسكان الدال وفتح الرا القميص والمشقق
المشقوق بالخرق والتراقي بفتح التا والرا وبعد الالف قاف ويا عظام الصدر
التي يقع عليها القلادة ومنه قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي بلغت الروح
عظام صدره والرعابيل بفتح الرا والعين وبعد الالف با موحدة ثم يا
مثناة تحت وفي اخره لام المقطع ومعنى البيت ان هذه النايحة لما ذهب
عقلها بنعي ولدها اليها صارت تقطع صدرها بكفيها وقميصها مشقق قطع
عن صدرها وهو كالموكد للذي قبله في ذهاب العقل والمراد تشبيه الناقة بها
من الالم في بدنها وما يقصد من ثيابها وهذا اخرها الى عليه من اوصاف الناقة

البيت الرابع والثلاثون

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم ۔ انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

قوله تسعى يحتمل ثلاث معان الاول من قولهم سعى به الى السلطان سعاية اذا ان يكون صح
وشى به الثاني ان يكون من باب الاسراع في السير ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا اتيتم الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ويحتمل ان يكون
منه قوله تعا وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى الثالث ان يكون من قولهم
سعى اليه اذا اتاه ومنه قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله والوشاة بضم الواو
جمع واش وهو الذي يمشي بالنميمة ليغير الخواطر وسموا وشاة لانهم
يوشون الحديث اي يزينونه اخذا من الوشي وقوله جنابيها اي جانبي سعاد
لا الناقة وواحدها جانب بفتح الجيم وهو فنا الشي وما حوله والمراد هنا
ناحية الناقة ويروى حواليها بدل جنابيها وهو بمعناه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم في دعاء الاستسقا اللهم حوالينا ولا علينا وقولهم حينئذ هذا
القول ويروى وقيلهم بكسر القاف وهو بمعنى القول ايضا يقال قال يقول

وقالا

قالا وقيلا واراد بابن ابي سلمى وهو كعب ابن زهير ابن ابي سلمى نسب بنوته
الى جده كما في قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى
بضم السين قال علما الحديث وليس في العرب سلمى بضم السين غيره والمراد
بقوله لمقتول الصاير الى القتل كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
اي الصايرون الى الموت ومعنى البيت ما كفاها ما لاقاه من صد محبوبته
واعراضها عنه وبعدها عنه بحيث صارت الى مسافة في البعد لا يبلغها
الا الناقة التي وصفها حتى ان الوشاة يسعون عندها ويغيرون
خاطرها عليه وينفرونها عنه ثم يرجعون اليه فيخوفونه بالقتل ويضيقون
عليه سبيل النجاة والحاصل ان امر الوشاة يرجعون في شانه الى مقصدين
المقصد الاول سعيهم به عندها وابعادها عليه وهو بقوله تسعى
الوشاة جنابيها وهذا ابتلي به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر
الانسان بمن يحبه الا حسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه
عنه وصرفوا نظره عن روية محاسنه وان كان الصادق في المحبة لا يغير
على من يحبه اعراض ولا يصرف قلبه عن محبه صدود وما دام الناس قديما
وحديثا يذمون الوشاة ويحذرون منهم ويغرونهم بالذم بالعاذل
والرقيب ولله در القايل

عندي لكم يوم التواصل دعوة ۔ يا معشر الجلسا والندما
اشوي قلوب الحاسدين بها ۔ والسنة الوشاة واعين الرقبا

واعلم ان السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا
بالزور والبهتان امر مذموم شرعا وقد ورد الكتاب والسنة بذمه
والنهي عنه قال الله تعا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فامر بالتبين
والتثبت فيما ينقله الساعي وعنى به النمام لما يحمله عليه من الحسد
والكذب والاختلاف مما يلحقه في تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف
قوله وسماه فاسقا بقوله ان جاءكم فاسق والمعنى فيه انه اذا نم ومشى

في السعاية خرج عن ان يكون ثقة وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته
واتباعه بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم ووعده بالويل بقوله ويل لكل همزة لمزة والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل وهو يقول صلى الله عليه وسلم ابغضكم الي المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة وعتب انسان في كلام نقل عنه قال من اخبرك به قال الثقة
قال لو كان ثقة ما نم وسدد القايل

لا تسمعن من الحسود مقالة   لو كان حقا ما يقول الواشي

ووشى واش برجل الى ذي القرنين فقال ان شئت سمعنا منك ما تقول
فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال
العفو ثم لا اعود وبالجملة من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك
اليك نقل حديثك الى غيرك وهذا مرض يبتلي به كثير من الناس فيصير
فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الا نقله ولا
جليسا الا حكاه وهو كما قيل

تراه يلتقط الاخبار مجتهدا   حتى اذا ما وعاها رق ما لفظا

وسدد القايل

من
انم بما استودعته في زجاجة   ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

المقصد الثاني ارجافهم وتخويفهم له واظهار الشماتة به وهو المعنى
بقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول ومن هنا تخلص الى ذكر قصة نفسه
وكيف كان ابتدا امره مع النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل من ذكر سعي الوشاة
به عند سعاد الى تخويفهم له بالقتل الذي كان اوعده به النبي صلى الله عليه وسلم
حين هدر دمه قبل اسلامه وهذا هو النوع الرابع من انواع النسيب
وهو المتعلق بغير المحبوب بسببه كما تقدم في اول الشرح وهو كالتوطئة
لما ياتي بعده من المدح

البيت الخامس والثلاثون

وقال كل خليل كنت آمله   لا الهينك اني عنك مشغول

قوله وقال كل خليل اي وقال لي كل خليل من اخلائي والخليل الصديق وهو ماخوذ من
الخلة

الخلة بضم الخاء وهي الصداقة وقوله كنت امله اي ارجوه لوقت الشدايد والضرورات
لا الهينك اي لا اشغلنك عما انت فيه بل امهلك عليك واسالك عنه يقال لها عنه اي تشاغل
عنه بغيره وقوله اني عنك مشغول اي اشغل نفسي شغلني عنك ومعنى البيت ان
اصدقاه الذي كان يرجوهم لشدايده ويخباهم لوقت مصايبه قد تلاهوا عنه
وتغافلوا واعرضوا عن نصرته وخلاصه من القتل وتبروا منه ياسا من سلامته
وخوفا من سطوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبه حين اهدر دمه واذن
في قتله كل من لقيه ويحق لهم ان يخشوا سطوة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت
في الصحيحين من حديث انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بخيبر
قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين هذا وقد
هاداه جميع الملوك واتقوا سطوته وخافوه فهم بين مسلم ومسالم كيف والله تعالى
ايده بالنصر وحماه بالعصمة

البيت السادس والثلاثون

فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم   فكل ما قدر الرحمن مفعول

قوله فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم وخلوا بمعنى اتركوا والسبيل الطريق وقوله
لا ابا لكم نفي للاب عنهم كما يقولون لا ابا لك وهي كلمة تقولها العرب تقصد
بها المدح تارة والذم اخرى فاما معنى المدح فانهم يريدون نفي نظيره لا يكون
من اب مثل ابيه فاذا نفي ان يكون له اب امتنع ان يكون له نظير واما معنى الذم
فانهم يريدون انه مجهول النسب لا يعرفون له ابا وقوله فكل ما قدر الرحمن مفعول
اي لا بد ان يقع ومعنى البيت انه لما يئس من نصرة اخلائه وتحقق انهم لا يغنون
عنه شيا ولا يستطيعون بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عزم هو ان يخلوا
طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحبسونه عن اتيانه والمثول
بين يديه ليمضي فيه حكمه ذاما لهم ومنتهكا لهم بقوله لا ابا لكم واستند في امره
الى اعتماد قدر الله تعالى متيقنا ان ما قدره له وعليه لا بد ان يستوفيه لا محيد
له عنه ولا براح له عن استيفائه فادركته العناية الالهية من جهتين الوجه الاول
قوة عزمه على لقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمشي اليه ليحصل على السعادة
الابدية والنعم السرمدية التي لا تحيد ولا تنفد وذلك انه تحقق بما كتب

اليه بجميع انحوه يخبر انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تايبا ولا يطالب بما كان قبل الاسلام كما تقدم ذكره في اول الشرح وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم في قبايل العرب وطوايف الامم وشرح الله صدره للاسلام وهداه الصراط المستقيم كما في قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا الوجه الثاني كونه الى القدر واعترافه بوقوعه توفيقا لمذهب الحق ومنهج الصدق قال تعالى انا كل شي خلقناه بقدر وقال عز وجل وكان امر الله قدرا مقدورا وقد اخرج ابو داود من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت يا بني انك لم تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما خلق الله القلم قال له اكتب فقال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي حتى تقوم الساعة يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني وفي صحيح مسلم وغيره من حديث يحيى ابن يعمر قال اول مكان نفي القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت انا وحميد ابن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن شماله وظننت انا وصاحبي متكل علي في الكلام فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا اناس يقرون القران ويتقفرون العلم وذكرت من شانهم انهم يزعمون لا قدر والامر انف فاذا لقيت اوليك فاخبرهم اني بري منهم وانهم برا مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو ان لاحدهم مثل جبل احد ذهبا فانفقه ما قبله الله منه حتى يومن بالقدر واخرج ابو داود من حديث اليماني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل امة مجوس ومجوس امتي هولاء الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا لجنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقهم بالدجال وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الما واخرج

الترمذي

الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه كانما فقي في وجهه حب الرمان فقال ابهذا امرتم ام بهذا ارسلت اليكم انما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الامر عزمت عليكم ان لا تتنازعوا فيه

البيت السابع والثلاثون

كل ابن انثى وان طالت سلامته • يوما على الة حدباء محمول

قوله كل ابن انثى اراد به كل مولود يولد من ذكر وانثى وان كان لفظه لا يقع في اللغة الا على الذكر والمراد بالالة الحدباء النعش سمي بذلك قيل لصعوبة مرتقاه وقيل لارتفاعه وقيل اخذ من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حواقبها لان النعش كذلك والظاهر سمي بذلك تشبيها بالرحل الاحدب فان العرب لم تكن تعرف هذه الاسرة المتخذة من الخشب وانما كانوا ياخذون عصيا يربعونها تربيعا مستطيلا وينسجون وسطها بالحبال يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي على ذلك الى الان وهذه الالة اذا وضع فيها الميت وثقل على الحبال برزت على العصي فاشبهت الرحل الاحدب في بروز ظهره ومعنى البيت ان الانسان وان طال في فسحة الاجل سلامته من الافات والعوارض فلا بد من ورود حياض الموت وحمله الى الرمس ومصيره الى الاجداث وان كان الامر على ذلك فهل يجزع الجازع بمثلة يخوف بها من قتل وغيره وحقيقة ما قاله فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع بالتحصين وما احسن قول الشاطبي رضي الله عنه ملغزا في النعش

اتعرف شيا في السما نظيره • اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا • وكل امري يعتليه اسير
يحض على التقوى ويكره قربه • وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر في رغبة عن زيارة • ولكن على رغم المزور يزور

البيت الثامن والثلاثون

انبيت ان رسول الله اوعدني • والعفو عند رسول الله مامول

جميع ما تقدم توطية لهذا البيت فان غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف ومعنى البيت اني اخبرت ويروي نبيت ومعناه هو

وترك ذكر الفاعل هنا لامرين الاول انه لا يتعلق بتعيينه غرض ومثله قوله
تعالي اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية
الثاني انه مقام الاستعطاف فيناسبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد بل لو
يوتي به ممرضا كما يقال روي كذا وان اوصلتها اما علي تقدير البنا وهو الاصل
مثل انبئهم باسمائهم نبئوني بعلم واما سادة فسد المفعولين علي تقدير
انبا اونبا اعلم واري والوعد في الخير والايعاد في الشر وقال الشاعر

واني اذا اوعدته او وعدته ۞ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يا من اذا وعد وفا واذا اوعد عفا
وما احسن قول ابن الفارض

متي اوعدت اولت وان وعدت لوت ۞ وان اقسمت لا تبرو السقم برت

وانما يستعمل وعد في الشر مقيدا كقوله تعالي النار وعدها الله الذين كفروا
وفي البيت اعادة رسول الله صلي الله عليه وسلم لاظهار التفخيم والتعظيم ولهذا
اتي بعبد ولم ياتي بمن لان عبد ادل في التفخيم ولقوة الرجا لانه قد ثبت
وتواتر ان الصفح من اخلاق رسول الله صلي الله عليه وسلم وعزيز من غرايز
الكرام سما وكان النبي صلي الله عليه وسلم من ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا و
الاحاديث جملة واردة والاخبار والاثار بعفوه وصفحه الجميل المشتهر مشاهدة
قالت عايشة ما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم امن مظلمة ظلمها ما لم تكن حرمة
من محارم الله تعالي وما ضرب بيده قط شيئا الا ان يجاهد في سبيل الله تعا
وما ضرب خادما ولا امراة وفي حديث الاخر وما انتقم رسول الله صلي الله عليه
وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعا فينتقم لذلك وجي اليه
برجل فقيل هذا يريد ان يقتلك فقال له النبي صلي الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وتصدي له غورث بن الحارث
في بعض الغزوات وهو صلي الله عليه وسلم مستند تحت شجرة وحده قايلا
والناس قايلون فلم ينتبه رسول الله صلي الله عليه وسلم الا وهو قايم
بالسيف مسلتا علي راسه فقال من يمنعك مني فقال الله
فسقط

فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلي الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني
فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الي قومه فقال جيتكم من عند خير الناس
وهبط عليه صلي الله عليه وسلم ثمانون رجلا من التنغيم صلاة الصبح ليقتلوه
فاخذوا فعفا عنهم واعتقهم صلي الله عليه وسلم فانزل الله تعا وهو الذي
كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وجاء زيد
بن شعبه قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجذب ثوبه بمنكبيه واخذه
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد
له في القول والنبي صلي الله عليه وسلم يتبسم فقال له النبي صلي الله عليه وسلم
انا كنا الي غير هذا احوج منك تامرني بحسن القضا وتامره بحسن التقاضي
ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه من ماله ويزيده عشرين صاعا
لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه وعن انس رضي الله عنه قال كنت مع
النبي صلي الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابي بردايه
حتي اثرت حاشية البرده في عاتقه وقال يا محمد احملني علي بعيري هذين
من مالي الذي عندك فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي
صلي الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي بما فعلت بي قال لا قال لما قال انك لا تقابل السيئة بالسيئة
فضحك النبي صلي الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له علي بعير شعير وعلي الاخر تمر
وقال له رجل اعدل ~~خبت وخسرت ان لم اعدل~~ هذه قسمة ما اريد بها وجه
الله تعالي فقال ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
واراد بعض الصحابة قتله فنهاه عن ذلك وسيق اليه سفيان ابن حرب
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه فعفا عنه ولاطفه في القول
وقال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله تعالي
فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وعفو صلي الله عليه
وسلم عن اليهودية التي سمته في ذراع الشاه بعد اعترافها بذلك
علي صحيح الرواية ولم يواخذ لبيد بن الاعصم اليهودي حين سحره

واوحي تعالي اليه بخبره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته ولم يواخذ عبد الله بن ابي سلول واتباعه من المنافقين بعظم ما نقل عنهم صلي الله عليه وسلم قولا وفعلا واشار عليه بعض اصحابه رضوان الله تعالي عليهم بقتل بعضهم فقال لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه ولما كسرت رباعيته صلي الله عليه وسلم وشج وجهه يوم احد شق علي اصحابه رضي الله عنهم فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون الي غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والاخبار المتواترة في علمه وحلمه وعفوه وصفحه مع القدرة والظفر مما لا ياتي عليه حصر ولا يحويه حارس فقد تقرر ان العفو والصفح من اخلاق رسول الله صلي الله عليه وسلم فالتخلق به والتمسك بسنته امر مندوب اليه ومرغب فيه تاسيا برسول الله صلي الله عليه وسلم قال تعالي لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد امر الله تعالي بالعفو امرا عاما فقال تعالي وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن عفا واصلح فاجره علي الله الي غير ذلك من الاثار الواردة في العفو ثم لطالب العفو من القادر سببان السبب الاول علة الهفوات في اقوال الناس وافعالهم فان الهفوات قد تعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة لان الناس مع اطوادهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون من الهفوات فكان الحرج فيها مرفوعا والعتب بسببها موضوعا وقد قيل من رام سليما من الهفوة والتمس بريا من نبوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه وقال بعض الحكما لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقال الاحنف ابن قيس حق الصديق ان يحتمل له ثلاث الهفوة والزلة والغضب واذا كانت نفس الشخص قد تعصي عليه فتغويه وان جسمه قد يسقم عليه فيولمه وهما اخص به واحنا عليه من صديق قد تغيرت نياته ايريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه لنفسه فقد رام المحال ولله در القايل

اقلل ذا الود عثرته وقفه   علي سنن الطريق المستقيمه
ولا تسرع بمعتبة اليه   فقد يهفو ونيته سليمه

السبب

السبب الثاني اختبار العبد وابتلاوه في حال عزمه وقدرته ليجازيه الله بعفوه وصفحه اكرم عوض في ارفع محل فقد مدح الله الكاظمين الغيظ واثني عليهم واخبر بمحبته لهم فقال جلت قدرته والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وورد في الحديث ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من كظم غيظه وهو قادر علي ان ينفذه دعاه الله تعالي علي رؤس الخلايق حتي يخيره من الحور ما شا ٢ يوم القيمة صح

ويروي انه صلي الله عليه وسلم قال اربع كلمات من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب وحين يرهب وحين يغضب وحين يشتهي واغتاظت عايشة رضي الله عنها علي خادم لها فقالت لله در التقوي ما تركت لذي غيظا اشتفا يريد انها منعتها من الانتقام منها

البيت التاسع والثلاثون

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة   القران فيه مواعيظ وتفصيل

قوله مهلا اي امهل علي ما اخاطبك به النبي صلي الله عليه وسلم فالتفت فيه من الغيبة في قوله في البيت الذي قبله انبيت ان رسول الله اوعدني الي الخطاب بقوله مهلا وقوله هداك الذي اعطاك نافلة القران دعاء للنبي صلي الله عليه وسلم وان كان لفظه علي الماضي كما يقول صلي الله عليه وسلم وهو ابلغ من صيغة الطلب والنافلة الزيادة ومنها سمي ما زاد علي الفرايض نافلة والقران كتاب الله المنزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والمواعظ جمع موعظة وتفصيل بالصاد المهملة المراد به تبيين ما يحتاج اليه من امر المعاش والمعاد ومعني البيت طلب الامهال من النبي صلي الله عليه وسلم وان لا يعجل عليه الانتقام واستعطافه لذكر ما من الله عليه به من اعطائه القران الكريم المشتمل علي الاوامر والنواهي وتفصيل الاحكام وهو كالتتمة للبيت الذي قبله لاشتماله علي تمام الاستعطاف في ثلاثة اوجه الاول طلب الامهال منه صلي الله عليه وسلم اشارة الي قدرته عليه وتمكنه منه فانه ليس له من النبي صلي الله عليه وسلم مخلص ولا مهرب وفيه التعظيم والتفخيم لمقام النبوة لا خفا فيه الوجه الثاني التذكير بنعمة الله تعالي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم من اعطائه القران

وتنزيل عليه ليكون ادعا الي العفو والشكر لنعمة الله تعالي اذ من جملة المنزل
عليه خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين الوجه الثالث الاقرار
بالتنزيل وهو من تمام الاسلام الذي به يحقن الدم ويصان عن القتل فان
قيل اذا كان معني النافلة الزيادة فما المراد بزيادة القران هنا فالجواب ما اشار
اليه ابن هشام في شرحه ان الله تعالي انزل علي رسوله صلي الله عليه وسلم ايات عظيمة
علمه اياها وجعل الكتاب زيادة ثم اتينا الكتاب تماما علي الذي احسن زيادة علي العلم
الذي اتقنه

موسي ٧ صح

البيت الموفي اربعون

لا تاخذني باقوال الوشاة ولم ۝ اذنب وان كثرت فيّ الاقاويل

قوله لا تاخذني باقوال الوشاة سوال وتضرع لا نهي وامر اذ النهي لا يكون الا من
الاعلي لمن دونه ومقام النبي صلي الله عليه وسلم والاقاويل جمع قول
والوشاة قد تقدم القول في البيت الرابع والثلاثون انهم الذين يمشون بالسعايه
عند النبي صلي الله عليه وسلم معني البيت ان جميع ما رميت به من الذنوب
باقوال الوشاة علي كثرتها ليس مني ما صدر البتة عني فلا تواخذني يا رسول
الله بما ينسب الي من ذنوب انا عنها بري وهذا من ثمة الاستعطاف والتلطف
في القول المتوصل به الي استجلاب القلوب واستمالة الخواطر وقد وقع التلطف والا
ستعطاف فيه من ثلاثة اوجه الاول تعبيرهم الساعين به الوشاة اشارة الي
كذبهم وتعرضا بذمهم اذ السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة
خصوصا بالزور والبهتان امر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقد ورد الكتاب
والسنة بذمه والنهي عنه قال تعالي يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين فامر تعالي
بالتبيين والتثبت فيما ينقله الساعي ويمشي به لاتهامه بما يحمله عليه الحسد من
الكذب والاختلاق مما يلفقه من تضاعيف كلامه وتوجيه زخرف قوله وسماه
فاسقا بذلك والمعني فيه اذا نم ومشي بالسعاية خرج عن ان يكون ثقة وقد ذم
الله تعالي ونهي عن طاعته واتباعه بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء
بنميم مناع للخير معتد اثيم ووعده بالويل بقوله ويل لكل همزة لمزة والله تعالي
يقول

يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
ابغضكم الي الماشون بالنميمة المفرقون بين الاحبة ويحكي ان بعض السلف
عاتبه انسان في كلام نقل عنه فقال من اخبرك قال الثقة قال ولو كان ثقة
ما نم والي هذا يشير بعضهم بقوله

لا تسمعن من الحسود مقالة ۝ لو كان حقا ما يقول الواشي

وقيل ان وشا واش برجل الي ذي القرنين فقال ان شيت قبلنا منك
ما تقول فيه علي ان نقبل منه ما يقول فيك وان شيت عفونا عنك
فقال العفو لا اعود وقد قال صلي الله عليه وسلم لا يبلغني احد منكم عن
اصحابي شيا فاني احب ان اخرج عليهم وانا سليم الصدر الوجه الثاني تبريه
له من الذنب والتنصل منه بقوله ولم اذنب وذلك ان عدم الاعتراف ابلغ
في الاحتراز وادل علي الرهبة والخوف والذنب اذا ظهر عظم خطره وكبر
في الخواطر ذكره واعلم ان المسي مع من اساء اليه ثلاث حالات الاول ستر الذنب
ثم يرسل الي الاعتذار والتنصل من الذنب ويظهر الخوف من الاطلاع فيجب
قبول عذره والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف
بظاهر اساءته بشي فيه فيظهر بيان ذمه ويتبين خجلته والندم توبة
والخجل انابة ولا ذنب لتايب ولا لوم علي منيب ولذلك لم يثرب النبي
صلي الله عليه وسلم علي كعب رضي الله عنه ولم يوبخه وقد قال بعض الحكما
شافع المذنب تضرعه الي عذره وما احسن قول القايل

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا ۝ ان بر عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره ۝ وقد اجلك من يعصيك مستترا

الحالة الثالثة ان يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه باظهار التوبة
والندم عليها ما سقط منه ولا يكلف عذره عن ذلك فيلجا الي الكذب
ويعرض لخجل التقريع وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم اياكم والمعاذر
فان اكثرها معاجر وقد قال علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه كفا بما يعتذر
به تهمة وقال بعض الحكما شفيع المذنب اقراره وقال بعض الادبا

اوسع ما تكون المغفرة اذا ضاقت بالذنب المعذرة وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه السلام هنا حين قال له اخوته تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولله در القايل

٭ العذر يلحقه التحريف والكذب ٭ وليس في غير ما يرضيك من ارب ٭
٭ وقد اساءت فبالنعمى التي سلفت ٭ الا مننت بعفو ماله سبب ٭

الحالة الثالثة لا يظهر توبته ولا يبدي عذرا وهو على مرتبتين المرتبة الاولى ان يكون قد كف عن الذنب وامسك عن الذلل فلم يتجاوزه الى زيادة عليه فحكمه حكم وقوف المرض عن التزايد في العلة فكان قد اصلح نصفه وترك نصفه فيجب المبادرة بمعالجة صلاح شطره الاخر ليكمل صلاحه فانه متى اهمل ربما سرى الداء الى الشطر الصالح فافسده فعاد الى التنكير فان من سقم شطر جسمه فلم يعالجه يسري السقم الى صحيحه وان عالجه صرفت الصحة الى سقيمه المرتبة الرابعة ان يكون مستمرا على الاساءة ويأخذ في الزيادة فيها على مرور الليالي وتعاقب الايام فهذا من الداء العضال الذي يعسر مداواته ويشق المصير على مقاساته فان امكن استدراكه وتأتي اصطلاحه بما امكن من الملاطفة والاقلاع الدا العيا الكي ومن يكتنف به الاعتذار الى غايتها فالملامة عليه والمقيم على شقاقه باغ مصروع وقد قيل من سل سيف البغي اغمد في راسه الوجه الثالث الاشارة الى عظيم العفو باستعظام الذنب بقوله وان كثرت في الاقاويل وذلك انه اذا وقع الصفح والاعفاء مع عظيم الذنب وتهوين الامر كان ذلك ابلغ في عظيم العفو والكرم مع ما في ذلك من تمام التنصل من الذنب والتبري منه ونسبة الوشاة الى الزور والبهتان فانه لا يليق بذي المقام الاعلى والرتبة السنية ان يقبل فيه قولهم قولا وفعلا ولا يحملهم على صدره والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الحادي والاربعون

٭ لقد اقوم مقاما لو يقوم به ٭ ارى واسمع ما لو يسمع الفيل ٭

البيت

البيت الثاني والاربعون

٭ لظل يرعد الا ان يكون له ٭ من الرسول باذن الله تنويل ٭

هذان البيتان مرتبط احدهما بالاخر مع توالهما فحسن الكلام عليهما جملة واحدة والتقدير فيهما لقد اقوم مقاما لو يقوم به الفيل لظل يرعد الا ان يكون له من الرسول تنويل وقوله في البيت الاول لقد اقوم فيه قسم محذوف لانه قد لا يكون جوابا بالقسم اما ملفوظ به كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ويروى اني اقوم مقاما والرواية المشهورة الاولى وهو ابلغ في المعنى بتاكيدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم القيام والمراد قيامه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم والفيل الحيوان المعروف وقوله في البيت الثاني لظل يرعد بالظاء المعجمة معناه لصار لانه يقتضي ثبوت الفعل ودوامه كما في قوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ونحو ذلك وقوله يرعد بفتح اليا وضم العين انه ماخوذ من الرعدة والتنويل في اصل اللغة العطية والمراد هنا اعطاء الامان ومعنى البيت ان المقام الذي قمته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اقام فيه الفيل الذي هو اعظم من جميع الحيوانات جثة واثبتها جاشا ورأى ما رايت هنالك وسمع ما سمعت لارتعدت فرايصه وتزعزعت قواه الا ان يكون له امن النبي صلى الله عليه وسلم تامين يسكن به روعه ويثبت به نفسه كل ذلك لما يدركه من هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعل الهيبة التي اشار بها ناشئة عن ثلاثة اشيا الاول هيبة المقام وحضر المجلس وذلك ان مجلسه صلى الله عليه وسلم كان في غاية الحفظ والاحترام وعظم الهيبة والجلالة وقد وصفه علي كرم الله وجهه عن مجلسه فقال اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثه ولا شك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم

رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتانيسه لهم الا هيبة الثاني هيبة الرؤيا
وذلك انه صلي الله عليه وسلم كان مهيبا في نفسه محفوفا بالجلالة والحشمة يهابه كل من يراه
ويجله كل من لاقاه وقد جا في وصفه صلي الله عليه وسلم من راه اهابه ومن عاشره
احبه وفي صحيح مسلم من حديث عمرو ابن العاص رضي الله تعالي عنه وما كنت
اطيق املي عيني منه اجلالا له ولو قيل لي صفه لم استطعت لاني لم اكن املي عيني
منه وربما غلبت الهيبة علي رائيه صلي الله عليه وسلم حتي تاخذه الرعدة لو لا ما
يلقاه منه صلي الله عليه وسلم من التلطف والتانيس فقد جاء انه دخل عليه صلي
الله عليه وسلم رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك انما انا ابن
امراة من قريش تاكل القديد الثالث هيبة السماع وكان يشير الي سماع القران
فان له روعة تلحق قلب سامعيه وهيبة تعتريهم عند تلاوته لقوة جلالته
وانافة خطره قال تعالي لو انزلنا هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله تعالي وقال عز وجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله تعالي وقد ثبت في الصحيح من حديث جبير
ابن مطعم قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه
الاية ام خلقوا من غير شي ام هم الخالقون الي قوله المصيطرون كاد قلبي يطير وفي
رواية وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وربما اعترت هذه الهيبة والرعدة
من لا يفهم معانيه الا ان يكون له من الرسول تنويل بلفظه صلي الله عليه وسلم واقباله
عليه لهاله من شدة الجزع وغلبة الهيبة واعظم شاهد لذلك ما تقدم من انه
صلي الله عليه وسلم دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما انا ابن امراة
من قريش تاكل القديد والله اعلم بالصواب

البيت الثالث والاربعون

حتي وضعت يميني لا انازعه ۞ في كف ذي نقمات قيله القيل

والتقدير لقد قمت مقاما بحضرة رسول الله صلي الله عليه وسلم اخذني فيه من
الهيبة والرهبة ما اخذني حتي وضعت يميني في كف ذي نقمات قيله
القيل لا انازعه في شي والمنازعة مجاذبة الامر والنقمات بفتح النون
وكسر القاف جمع نقمة ككلمة جمع كلمة والقيل والقول واحد والمراد
ان

ان امره نافذ وقوله ثابت لا يتغير ومعني البيت انه وضع يمينه في كف النبي
صلي الله عليه وسلم وضع طاعة تسليما له وانقيادا لامره خوفا من سطوته وشرع
باسه ليشير بذلك الي اسلامه مع النبي صلي الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو في المسجد
ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعب ابن زهير جاء ليستامن منك
تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال نعم فقال يا رسول الله انا كعب
علي ما تقدم ذكره في اول الشرح وقد اشار في بعض كلامه الي ثلاثة مقاصد
المقصد الاول وضع يمينه في كف النبي صلي الله عليه وسلم اشارة الي الاعتنا
بشان التيمن في تنعله وترجله وشانه كله واخرج ابو داود من حديث حفصة
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه واخذه
واعطايه ويجعل شماله لما عدا ذلك وحاصل الامر ان الاشيا الشريفة كالاخذ والعطا
والاكل والشرب والمصافحة يفعل باليمين والاشيا الخبيثة كالاستنجا ومس
الذكر وما شاكل ذلك يفعل باليسار ولا شك ان مصافحة النبي صلي الله عليه وسلم
من اعلا الامور الشريفة وارفعها رتبة لا جرم حسن التيمن فيها علي الحركة الطبيعية
من بني ادم انما تصدر في الغالب من جهة اليمين حتي انه يعسر التناول والدفع
ونحوهما باليسري الا لمن اعتاده وذلك ان منشي الحركة علي الكبد وهو في الجانب
الايمن قال الصلاح الصفدي ولا يبعد ان يكون كبد الاعسر في الجانب الايسر
فتصير حركته عنها علي القياس الثاني عدم المنازعة للنبي صلي الله عليه وسلم والدخول
تحت امره والانقياد لطاعته وهو من الامور اللازمة والواجبات المتحتمة حتي
ان الله قرن طاعته بطاعته قال تعالي يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وقال عز وجل قل اطيعوا الله والرسول وقال جلت قدرته ومن يطع
الرسول فقد اطاع الله الي غير ذلك من الايات الدالة علي وجوب طاعته وفي صحيح
البخاري من حديث ابي سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابا قالوا ومن يابي قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابي

وناهيك ان الله تعالى جعل طاعته عليه السلام تمام الايمان وكماله قال تعالى فلا
وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما الثالث وصف النبي صلى الله عليه وسلم بانه ذو نقمات والمراد شدة
السطوة وقوة الباس على الكفار والاغلاظ لهم في القول وعدم الضراعة لهم ايتمارا
بامره تعالى حيث قال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الا وقد
وصفه تعالى بالرافة للمومنين والرحمة فقال بالمومنين رووف رحيم وفي حديث
عايشة رضي الله عنها وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان انهتكت
انهتكت حرمات الله تعالى وما ضرب بسيفه شيا قط الا ان يجاهد في سبيل الله
تعالى الرابع وصفه صلى الله عليه وسلم بانه قوال القيل وهو يحتمل الامرين
احدهما ان يكون المراد انه اذا قال قولا من وعد او وعيد لا بد وان يقع وكان
كذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخرج ابو داود من رواية عبد الله ابن الحمسا
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان
اتيه بها في مكانه فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي انا ههنا انتظرك ثلاثا مرة ثلاث ويروى ان ابي ابن خلف
كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم
فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شا الله تعالى
فلما كان يوم احد قال اين محمد لا نجوت ان نجا وشد على فرسه وقصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هكذا
اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايرنا
عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تردى منها عن فرسه مرارا وقيل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع
الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس عليك فقال لو كان ما بي بجميع
الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بالطريق
في قفولهم الى مكة الثاني انه اذا سطا لا يثبت شي لسطوته فقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا اغضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي
والله تعالى

بان
اتيه بها

والله تعالى اعلم بالصواب

البيت الرابع والاربعون

لذاك اهيب عندي اذ اكلمه ... وقيل انك منسوب ومسوول

البيت الخامس والاربعون

من خادر من ليوث الاسد مسكنه ... من بطن عثر غيل دونه غيل

الاشارة في قوله لذاك للنبي صلى الله عليه وسلم واهيب معناه اشد هيبة ويروى
ارهب وقوله اذ اكلمه اي حال كلامي له ويروى ان يكلمني وقوله انك منسوب اي
انك مطلوب بالاعراب عن نسبك وقوله مسوول عما نقله وقد تقدم في اول الشرح
انه من بني مزينة وقوله من خادر اي اهيب عندي من ليث خادر بالخاء المعجمة
والدال المهملة المكسورة والمراد الليث الداخل خدره والليوث جمع ليث وهو الاسد
ومسكنه موضع سكنه وعثر بفتح العين المهملة وتشديد الثاء المثلثة المفتوحة
وراء مهملة في اخره اسم مكان ويروى ببطن عثر والغيل بالغين المعجمة وسكون
الياء المثناه من تحت شجر ملتف يشبه الاجمة من القصب ياوي اليه الاسد
وقوله غيل دونه غيل اي اجمة داخل اجمة التقدير لذلك اهيب عندي من ليث
خادر ويروى من ضيغم من ضرا الاسد من اسماء الاسد والضرا بضم الضاد المعجمة
وتشديد الراء المهملة مع المد جمع ضار وهو الكاسر لضده من قولهم ومعنى البيت
انه لما كلم النبي صلى الله عليه وسلم لدى مقامه بين يديه الذي تقدمت الاشارة اليه
وقد اخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم معه في نسبه ومن اي قبيلة هو وسايله
عما وشي في حقه للنبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج منه اشتدت هيبته عليه
في خطابه وعظم في نفسه وقع كلامه حتى وهنت قواه داخله الروع واشتدت
به الرهبة اكثر مما تداخله الهيبة من الاسد وقد اشتمل البيت على ثلاثة مقاصد
المقصد الاول هيبة النبي صلى الله عليه وسلم ليطالبه بالخروج منه وحقيق بذلك
فقد تقدم من وصفه صلى الله عليه وسلم انه اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على روسهم
الطير وخص الهيبة بالاسد اشارة الى انه اعظم الحيوانات هيبة حتى يقال ان
الانسان بمجرد روية لا يستطيع الفرار من كثرة الخوف فان قيل لم خص الهيبة
الواقعة عنده بحالة الكلام فالجواب انه لما اخبر معه صلى الله عليه وسلم في الكلام

والضيغم صح

وعظم الحرمة اذ الرجل الجليل اذا
احتف في مجلسه تمنى الود وفي سكن
جانبه ودهب ورعه فاذا كانت
الهيبة قائمة صح

معه ما هو متوقع الكلام من مبالغة في ضرب الهيبة قائمة في هذه الحالة كان ذلك
دليل عظم الهيبة ووفور الحرمة بكل حال فان قيل ما المعنى في سال التر عن نسبه واي
غرض يتعلق بذلك فالجواب ان ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان اوى الى
قبيلة مزينة المجيرة من النبي صلى الله عليه وسلم فابت ذلك على ما تقدم ذكره في اول الشرح
وكانه يقول من قبيلتك التي تجيرك علي وقومك الذي يعصمونك مني قد تبروا منك
وتخلوا عنك فان قيل لم وصف الاسد بالخادر والشجاعة تقتضي الزفير فالجواب عنه
من وجهين الجواب ان الاسد في الوحوش كالملك في الادميين كلما كان مختفيا عن العيون
كان اشد هيبة ووقعا في النفوس ولذلك لا تزال الملوك تحتجب على الرعية ليعظموا
في نفوسهم ولو خالطوهم او قربوا منهم لهانوا عليهم والثاني اذا لزم الخبا ازداد
توحشه فتعظم جراته واقدامه فان قيل اذا كان الليث اسما للاسد صار التقدير
بذلك اهيب من خادر من اشبال الاسد ولا معنى له فالجواب ان الليث اسم للاسد
تقتضيه الجلادة كما ان الحسام اسم للسيف نصفه للحسم وهو القطع يقال رجل ليث
اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث والاسد مغايرة ما ويكون
لذلك اهيب عندي من خادر من اجلد الاسد واقواهم فان قيل لم خص هذا الاسد ببطن
عثر فالجواب انه مكان معروف بالاسد فان قيل ما المعنى في جعله في غيل ولا يكون
مختفيا في مكان داخل مكان الا الشديد الخوف فالجواب انه قد تقدم ان الاسد
كالملك كلما كان مختفيا كان ابلغ في هيبته ومقتضى ذلك انه كلما ازداد اختفاؤه اشتد
هيبته والله تعالى الموفق للصواب واليه المرجع والماب

البيت السادس والاربعون

، يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ، لحم من القوم معفور خراديل ،

قوله يغدو من الغدو وهو الذهاب في اول النهار وقوله فيلحم بفتح اليا وسكون اللام
وفتح الحا وميم في الاخر ويجوز فيه ضم الياء ايضا والاول افصح والمراد يطعم اللحم والمراد
بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون الراء وفتح الغين المعجمة
والف ثم ميم قال ابن الاثير وهو الاسد الضاري الشديد الاقدام والمعنى انه يطعم
ولديه اللحم الاتي ذكره وقوله عيشهما لحم من القوم عيش الضرغامين المذكورين لحم من
القوم والمراد بالعيش القوت وبالقوم الرجال وقوله معفور اي اللحم المذكور

معفور

معفور وهو بفتح الميم وسكون العين المهملة وضم الفاء وسكون الواو وراء مهملة
في الاخر الملقى على العفر بفتح العين والفاء وهو التراب وقوله خراديل بفتح الخاء
المعجمة والراء المهملة والف بعدها وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام
في الاخر وهو القطع الصغار ومعنى البيت ان الاسد لشدته في الهيبة وشجاعته
لا يطعم ولديه الا لحم بني ادم ولشدة ضراوته يقطعه قطعا صغارا ويعفره في التراب
كانه غير مترتب بالادميين واذا كان كذلك حقيقا بان يهاب فان قيل لم خص
وصف ذهابه الى الاصطياد بالغدو وهو اول النهار فالجواب ان ذلك ابلغ في الضراوة
من حيث انه لا يختطف الادمي ليلا وهو نايم وانما ياتيه في النهار وهو مواجهه
وهو في نشاط وقوته لم يتعب معه في الحركة وفي اول النهار اقوى والحركة بخلاف اخر
النهار فان قيل لم لم يذكر اولاده بلفظ التثنية بحيث قال ضرغامين ولم
يقتصر على واحد ولم يزد على اثنين فالجواب انه اذا لم يقتصر على واحد لان في اطعام
زيادة شجاعة على طعام الواحد بكثرة الاصطياد واما عدم زيادته على الاثنين
فلان الاثنين اكثر ما يولد للاسد فان قيل اذا كان الضرغام اسما للاسد الضاري الشديد صح
كما تقدم فكيف ساغ ان يصف شبليه هذا الاسم بهذا الوصف فالجواب
انه يجوز ان يكون نافذ الراوي لما حيث صارا اسدين كاملين وهو معنى ذلك
لضراوته وشجاعته لا يكل فيهما اليه السعي والاصطياد ويكون احتياجهما حينئذ
الى الطعام اكثر فيكون ابلغ في شجاعته واصطياده وان قيل لم خص طعمهما بلحم
الادميين فالجواب ان الادمي اشد جراة واكثر اقداما من غيره من ساير الحيوانات
مع ما اختص به من العقل الذي يحصل به التحيل والخلاص والهرب خصوصا وقد خص
ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة من الرجال مبالغة في الشدة والقوة فان قيل لم وصف
اللحم بكونه يلقى على التراب وكونه قطعا صغارا فالجواب ان القاه على التراب دليل
على عدم اكتراثه به كما تقدم وربما دل على الشبع والعيافة على اكل اللحم لكثرته كما
في قول امرئ القيس يصف عقابا ،

، كان قلوب الطير رطبا ويابسا ، لدى وكرها العناب والحشف البالي ،

يعني انها لكثرة اصطيادها تصيد قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا

ويابسا لعيا فنهاها عن اكلها واما كونه قطعا صغارا فيحتمل ان ذلك لشره الجراد كما تقدم اشارة فيه ويحتمل انه يفعل ذلك من باب الحنو على اولاده ليسهل عليهم الاكل والله تعالى اعلم

البيت السابع والاربعون

* اذا يساور قرنا لا يحل له * ان يترك القرن الا وهو مغلول *

قوله اذا يساور قرنا اي يواثبه بمعنى انه يثب كل منهما على الاخر وهو بضم الياء المثناة تحت من يساور وفتح السين المهملة والف بعدها وكسر الواو وراء مهملة في الاخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء المهملة ونون في الاخر المراد به المقاوم في الشجاعة وقوله لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مغلول اي لا يليق له يعني انه يمنع نفسه من النكوص والهرب حتى كانه يحرم عليه والمغلول بفتح الميم وسكون الغاء وضم اللام وسكون الواو ولام في الاخر المكسور المهزوم واصل الغلل الكسر ومنه فلل الحسام وهو تلم حده ويروى الا وهو مجدول بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة وسكون الواو ولام في الاخر والمراد الملقى بالجدالة وهي الارض ومعنى البيت ان هذا الاسد الحقيقي مع مقاومه في الشجاعة لا يستحي في طريق الشجاعة ان يعرض عنه حتى يكسره ويهزمه على الرواية الاولى ويدعه مجدلا ملقا على الرواية الثانية واذا كان على هذه الصفة كان جديرا بان يهاب وقد وقعت فيه المتابعة في الشجاعة من وجهين الوجه الاول انه لا يساور ضعيفا ولا جبانا بل من يقاومه في الشجاعة ويساويه في القوة وهو طريقة الشجعان في الحرب حتى كان احدهما اذا بارز من هو دونه في الشجاعة لا يبرز له ولا يقابله الوجه الثاني انه يربو بنفسه عن ان يعرض عنه او يولي حتى يقهره ويغلبه وهذه اتم حالات الشجعان وكذلك كان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز له ان يولي على العدو ولو كانوا الوفا ولم يعرف انه صلى الله عليه وسلم ادبر يوما في الحرب ولا ولى والله الموفق للصواب

اذا التقي جم

البيت الثامن والاربعون

* منه تظل سباع الجو ضامزة * ولا تمشي بواديه الاراجيل *

قوله منه تظل سباع الجو ضامزة اي من ذلك الاسد تظل بفتح التاء المثناة فوق

والظاء

والظاء ومعناه لا تزال والسباع جمع سبع وهو في الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب في الاستعمال على الاسد والجو اسم الواسع على ما فسره به ابن هشام والضامزة بالضاد والزاي المعجمتين الساكنة وقوله تمشي بضم التاء المثناة وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة المكسورة بمعنى تمشي وقوله بواديه اي في واديه الاراجيل جمع رجال والارجال جمع رجل ومعنى البيت ان الاسد لشجاعته لا تزال سباع البر ساكنة من هيبته والرجال لا تمشي بواديه خوفا منه وحذرا وهذا اعم مما يكون من الهيبة والشجاعة وهو ان يهابه جنس السباع حتى لا تستطيع حركة منه خوفا وحذرا وغير جنسه من بني ادم الذين هم اشد جراءة واقداما من ساير الحيوانات لا يستطيع احد منهم ان يمر بالوادي الذي هو مقيم فيه فان قيل هل يجوز الجو في كلامه بما بين السما والارض انه لا يمتنع ذلك وان خطاه ابن هشام في شرحه لانه قد يراد بسباع الجو الطيور الكواسر كالنسر وغيره ويكون ذلك مبالغة في الشجاعة وهو ان يخافه سباع الطير التي هي ممتنعة عنه باجنحتها فما الظن بسباع الوحش التي هي ساكنة معه في البر والله تعالى اعلم بالصواب

الجواب

البيت التاسع والاربعون

* ولا يزال بواديه اخو ثقة * مطرح البز والدرسان ماكول *

قوله ولا يزال بواديه اخو ثقة اي بوادي ذلك الاسد والمراد باخي الثقة الواثق بنفسه في الشجاعة وقوله مطرح البز بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الراء المهملة المفتوحة وحاء مهملة في الاخر والبز بفتح الباء الموحدة وبالزاي المعجمة المراد به هنا السلاح والدرسان الثياب الخلقة المقطعة وقوله ماكول اي مطرح ماكول ومعنى البيت هذا الاسد المشبه به لم يزل يرى في واديه من يثق بنفسه في الشجاعة وهو ماكول وسلاحه واخلاق ثيابه مطرحات حوله وكانه لا يولع الا بالشجعان ولا يلتفت الى من عداهم والله اعلم بالصواب *

البيت الموفي خمسون

* ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول *

لما فرغ من وصف الاسد وجعل هيبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من هيبته رجع الى تمام مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم قال التبريزي وجعله سيفا استعارة قال ابن هشام وليس كذلك وانما سمي مثل هذا عند اهل البيان

تشبيها موكدا قال والمراد يستضا به يهتدي به ويروي ان الرسول لنور يستضا به قال ابن هشام وهو حسن والمهند بفتح الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة ودال مهملة في الاخر المنسوب الى الهند فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف الله مسلول والمسلول المصلة من غمده ومعنى البيت انه صلى الله عليه وسلم في الاقتدا به الى الحق كالسيف المهند المسلول وذلك انه كان من عادة العرب انهم اذا ارادوا استدعا من حولهم من القوم في ليل او في نهار شهروا السيف الصقيل وبرق به فتظهر لامعته على بعد فياتوا اليهم مهتدين بنوره وهو يعني يهديه والنبي صلى الله عليه وسلم لما جا بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعا الناس اليه اتوا مهتدين بنوره الساطع وهو يعني بضياه اللامع وقد ورد بهذا المعنى في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فشبهه بالسراج المنير عندما وصفه بكونه داعيا وقد ورد في رواية ابن الانباري ان كعبا رضي الله عنه لما وصل في انشاده الى هذا البيت رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ببردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة الاف درهم فقال له ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا غيري فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم وهي البردة التي كانت عند الخلفا من بني امية وبني العباس رضوان الله عليهم اجمعين

البيت الحادي والخمسون

في فتية من قريش قال قايلهم * ببطن مكة لما اسلموا زولوا

قوله في فتية من قريش والفتية بكسر الفا وسكون تا التانيث وفتح اليا المثناة تحت جمع فتى ومنه قوله تعالى وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ويروي في عصبة وهي الجماعة من الناس ما بين العشرة والاربعين وقريش اسم قبيلة وقد اختلف في ابيها فذهب قوم الى انه النضر ابن كنانة والراجح عند اهل النسب انه فهر ابن مالك ابن النضر المذكور وقوله قايلهم معناه قال قايل تلك الفتية القبيلة وبطن مكة واديها ومكة اسم البلد الحرام ويقال لها ايضا بكة بابدال الميم با وبها جا القران الكريم قال تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديهم

وايديكم عنهم ببطن مكة وقال جل وعز ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقيل بالميم الحرم كله وبالبا المسجد وقيل بالبا اسم لموضع الطواف خاصة وقوله لما اسلموا اي ادخلوا دين الاسلام وقوله زولوا اي هاجروا عن مكة الى المدينة لما فرغ من مدح النبي صلى الله عليه وسلم اخذ في مدح المهاجرين من اصحابه رضي الله تعالى عنهم وعبر عنهم بقريش لان غالب الصحابة كلهم منهم والمعنى انه لما اسلم بمكة من قريش من اسلم اختاروا الهجرة من اوطانهم بمكة والخروج منها الى غيرها من البلدان ليفوزوا بدينهم وقد اتفق المؤرخون واصحاب السير ان اول من اسلم خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف فيمن اسلم بعدها فقيل علي ابن ابي طالب وعمره سبع سنين وقيل عشرين سنة وقيل احدى عشر سنة وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام يربيه ثم اسلم بعد علي زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اشتراه واعتقه ثم اسلم بعد ذلك ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقيل اول من اسلم ابو بكر الصديق ثم اسلم بعده عثمان ابن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد ابن ابي وقاص والزبير ابن العوام وطلحة ابن عبيد الله ثم عبيدة ابن الجراح وعبيدة ابن الحارث وسعد ابن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله ابن مسعود وعمار ابن ياسر ثم اسلم حمزة ابن عبد المطلب بعده وهو الباعث لهم بالهجرة واللحاق لهم عليهما فاليه الاشارة بقوله في البيت قال قايلهم وهذا البيت في الحقيقة مدح والله اعلم بالصواب

البيت الثاني والخمسون

زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقا ولا ميل معازيل

وقوله زالوا اي ذهبوا يقال زال يزول اذا ذهب وقوله فما زال انكاس اي فما ذهب انكاس ولا كشف والانكاس بفتح الهمزة وسكون النون وسين مهملة في الاخر جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف المهين تشبيه بالمنكوس السهام وهو الذي انكس فوقه فجعل اعلاه اسفله والكشف بضم الكاف والشين المعجمة وفا في الاخر جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب وقوله ولا ميل معازيل اي لما زال ايضا ميل معازيل والميل بكسر الميم وسكون اليا المثناة ولام في الاخر جمع اميل وله معنيان كل منها يصلح هنا احدهما ان الذي لا سيف معه

الثاني الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر علي السرج والمعازيل بفتح الميم والعين المهملة والف ثم زاي مكسورة وياء مثناه ساكنة ولام في الاخر جمع معزال بكسر الميم وهو الذي لا سلاح معه والمشهور فيه اعزل ومنه سمي النجم المشهور بالشمال المقابلة الشمال والرامح والرمح في هيئة رجل بيده رمح والاعزل لا رمح معه وقال المصري في ذلك

لا تطلبن بغير حظ رتبة   قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السما كلاهما   هذا له رمح وهذا اعزل

ومعني البيت انهم زالوا من بطن مكة ولم يكن منهم من هذه صفته بل كانوا اقويا ذو سلاح فرسان عند اللقا والمدح فيه من وجهين الوجه الاول انهم خرجوا من اوطانهم وفارقوا احبتهم من الاهل والولد فرارا بدينهم مع ما في ذلك من المشقة ويا لعظمة الامن وثقة بوقاية الله تعا وناهيك بان الله تعالي قد قرن خروج الانسان من بيته بقتل نفسه فقال جلت قدرته ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وكفي بذلك مبالغة وشدة في فراق الوطن ومفارقة المنزل المالوف الوجه الثاني انهم لم يخرجوا من مكة عن خوف ولا قتل اذ كانوا اقويا ذو هيئة للحرب والقتال وانما خرجوا لطاعة الله ورسوله واعلم ان للمومنين هجرتين الاولي الي ارض الحبشة منهم جماعة واقاموا في جوار النجاشي وذلك انه لما اشتد اذى قريش النجاشي بمن اسلم بمكة اذن رسول الله صلي الله عليه وسلم لمن ليست له عشيرة تحميه بالهجرة الي ارض الحبشة فهاجر فاحسن نزولهم وعاملهم بالكرامة وكان من جملة من هاجر منهم الي ارض الحبشة علي التتابع ثلاثة وثمانون رجلا منهم عثمان ابن عفان والزبير ابن العوام وعثمان ابن مظعون وعبد الله ابن مسعود وعبد الرحمن ابن عوف وجعفر ابن ابي طالب وجماعة من النسوة منهم رقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم مع زوجها عثمان بن عفان وارسلت قريش الي النجاشي في طلبهم وهادوه علي ذلك فلم يمكن منهم الهجرة الثانية الي المدينة الشريفة وهي التي بني عليها التاريخ الاسلامي

وكان

وكان ابتداوها ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يعرض نفسه علي القبايل في مواسم الحج ويدعوهم الي الله تعا ويقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه ان تومنوا بي وتصدقوني فاتفق ان خرج من الموسم فلقي ستة رجال من الخزرج من اهل المدينة فاعرض عليهم الاسلام وتلي عليهم القران فامنوا به ثم انصرفوا الي المدينة فدعوا قومهم الي الاسلام فاسلم منهم الكثير وفشي الاسلام فيهم ولم يبق دار الا وفيها ذكر الرسول صلي الله عليه وسلم فلما كان في العام الاخر لقي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالموسم اثني عشر رجلا من الانصار فبايعهم علي ان لا يشركوا بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وبعث معهم رسول الله صلي الله عليه وسلم مصعب ابن عمير ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار فعلمهم شرايع الاسلام والقران فلما قدم مصعب المدينة ودعا من بها الي الاسلام كان ممن اسلم علي يديه سعد ابن معاذ سيد الاوس وحمل قومه علي الايمان بالنبي صلي الله عليه وسلم فامنوا به علي اخرهم وفشا الاسلام بالمدينة حتي لم يبق فيها دار من دور الانصار الا ودخلها الاسلام ثم عاد مصعب ابن عمير الي مكة بعد ذلك في ثلاثة وسبعين رجلا ممن اسلم من الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج فاجتمعوا بالنبي صلي الله عليه وسلم عند العقبة ومعه عمه العباس قبل ان يسلم فاستوثق منهم العباس للنبي صلي الله عليه وسلم حتي انهم لا يخذلونه ولا يسلمونه فقالوا اما لنا ان قتلنا دونك يا رسول الله قال الجنة قال فابسط يدك لنبايعك فبايعوه علي ذلك وانصرفوا راجعين الي المدينة وامر رسول الله صلي الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الي المدينة فخرجوا متتابعين واقام رسول الله صلي الله عليه وسلم بمكة ينتظر حتي ياذن له ربه في الخروج من مكة ومعه ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب ثم خرج النبي صلي الله عليه وسلم من مكة ليلا ومعه ابو بكر الصديق واقام بغار جبل ثور بمكة اسفل مكة ثلاثة ايام ثم خرجا من الغار وتوجها الي المدينة وجدت قريش في طلبهما فلحقهما سراقة ابن مالك المدلجي فدعا عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم فغاصت فرسه في الارض الي بطنها فرغب الي النبي صلي الله عليه وسلم ان يسال الله في خلاصه ففعل فتركهما ورجع ورد كل من لقيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم

وبقا علي بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان ادى ودايع للناس كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد ذلك فتح مكة وغيرها

البيت الثالث والخمسون

شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل

قوله شم العرانين ابطال لبوسهم في الهيجا سرابيل من نسج داود والشم بضم الشين المعجمة جمع اشم وهو الذي في قصبة انفه علو مع استوا اسفله والعرانين جمع عرنين وهو الانف والابطال جمع بطل وهو الشجاع الذي يبطل الدما وتذهب هدرا ولا يدرك عنده الثار واللبوس بفتح اللام ما يلبس من السلاح ومنه قوله وعلمناه صنعة لبوس لكم ونسج المنسوج وداود النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بنسجه الدروع والسرابيل جمع سربال والهيجا من اسماء الحرب ومعنى البيت انهم في الناس ذو رفعة وعلو مقدار وفي الحرب في غاية الشجاعة ومنعة من السلاح وقد وقع المدح لهم من ثلاثة اوجه الوجه الاول كونهم شم العرانين وهو محتمل المعنيين احدهما ان يكون شم العرانين التي هي الانوف حقيقة وهو من الاوصاف الحميدة في تكوين خلق الانسان وقد جا في وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اشم العرانين والثاني ان يكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو لانه يقال ذلك للرجل المرتفع في انفه شمم يجوز ان يقال ذلك لارتفاع القدر في نفس الامر الوجه الثاني كونهم ابطال وهو من اوصاف الشجعان المبرزين في الشجاعة ولا شك ان الشجاعة من احمد الاوصاف التي يمدح بها ويقع الاطراب بسببها وفيه تقرير لما تقدم من معنى البيت الذي قبله من انهم لم يخرجوا من مكة عن ضعف ولا مهانة وانما خرجوا لطاعة الله ورسوله الوجه الثالث ان لبوسهم في الحرب كانت من اصنع الدروع وامتنها لانه اضافها بنسج داود نبي الله صلوات الله عليه لا شك ان درعه احكم الدروع صنعة وصنعة لين الحديد له وصدور تعليمه له من قبل الله تعالى قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون وقال جلت قدرته والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وفيه اشارة الى امتثال امر الله تعالى بقوله واعدوا لهم ما استطعتم من

قوة

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية فان قيل كيف حسن مدحهم بلبس الدروع والقتال دون لبسها اعلا في رتبة الشجاعة وقد انكر عبد الملك ابن مروان على كثير حين امتدحه بقوله شعر

على ابن ابي العاص دلاص حصينة • اجاد المسدي سردها فاذالها
يوم ضعيف القوم حمل قتيره • ويستضلع القوم الاشم احتمالها

ولم يمدحه بمثل قول الاعشى في قيس ابن معدي كرب

واذا اتى كتيبة ملمومة • شهباء يخشى الرايدون نهالها
كنت المقدم على لابس جنة • بالسيف تضرب معلما ابطالها

فالجواب ما اجاب به كثير عبد الملك من قوله يا امير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون على ان بعض الشعرا رجح قول كثير من حيث ان المبالغة في المدح احسن من الاقتصار على الامر الاوسط واما ما وقع من كثير لعبد الملك فهو من باب المبالغة وفيما قاله تنبيه يتطلع الحزم فان الحزم دليل القوة الذي هو اشرف ما مدح به من الخصال الشريفة ومن تمام الحزم الاحتراز كما اشار اليه كثير وكذلك امر الله في قوله تعالى خذوا حذركم واسلحتكم فيكون المدح بلبس الجنة اتم ولذلك ذهب اليه كعب في مدح المهاجرين والله الموفق للصواب

البيت الرابع والخمسون

بيض سوابغ قد شكت لها حلق • كانها حلق القفعا مجدول

قوله بيض سوابغ والبيض بكسر البا جمع ابيض والمراد المجلو والسوابغ بالسين المهملة والغين المعجمة جمع سابغ والمراد الطول السوابل وقوله قد شكت لها حلق بضم الشين المعجمة شكت اي دخل بعضها في بعض ويروى سكت اي بالسين المهملة اذ اضيقت والحلق بفتح الحاء المهملة واللام جمع حلقة باسكان اللام وخالف الاصمعي فكسر الحاء من حلق وخالف ابو عمرو ففتح الحا من حلقة والصحيح عند المحققين ما تقدم فيهما وقوله كانها اي تلك الحلق والحلق الثانية كالاولى والقفعا بفتح القاف وسكون الفا نبت هاو بالعين المهملة وبالمد شجر ينبت على وجه الارض متداخل بعضها في بعض فشبه به حلق الدروع والمجدول بفتح الميم وسكون الجيم الصنعة ومعنى البيت ان

دروعهم مجلوة صافية طويلة مستجلة مشتبكة الصنعة ودخلت بعضها في بعض اشد تداخل ويكون المدح قد وقع فيهم من ثلاثة اوجه الوجه الاول انهم مستقبلون للحرب لان الحديد كلما استعمل انصقل وابيض ولم يركبه الصدا بخلاف ما اذا نزل بلا استعمال فانه يسود ويركبه الصدا الوجه الثاني انهم في غاية القوة لان الدروع اذا كانت طويلة تامة كانت اثقل صورة وحملها في الحرب مع ثقلها يدل علي الشدة والقوة الوجه الثالث انهم اعتنا بالدروع بحيث لم يتخذوا منها الا المحكم الصنعة العزيز الوجود

البيت الخامس والخمسون

لا يفرحون اذا نالت رماحهم   قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

قوله لا يفرحون اذا نالت رماحهم الفرح معروف وكذلك الرماح وقوله نالت اي اصابت والقوم تقدم انه الجماعة من الرجال والمجازيع بفتح الميم والجيم وبزاي معجمة وبسكون اليا المثناة وعين مهملة في الاخر جمع مجزاع بفتح الميم وهو الكثير الجزع وهو الخوف وقوله نيلوا اي اصيبوا والمعنى انهم اذا اصابوا وغلبوا عدوهم لا يفرحون واذا غلبوا منه لا يجزعون من الغاية ثانيا ويكون المدح قد وقع فيه من وجهين الوجه الاول انهم كثيرون الظفر بالاعدا فاذا وقع لهم ظفر بعدو لا يفرحون به لان ذلك من عاداتهم والفرح انما يقع بالشي النادر القليل الوقوع الوجه الثاني انهم كبيرون الهمم وفيهم الصبر والجلادة علي الحرب بحيث انهم اذا اظفر عليهم العدو وغلبهم لا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية بصبوا وجزعا لقلة تغلبانهم بالخطوب وتاثرهم بمكابدة الحروب والله اعلم

البيت السادس والخمسون

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضرب اذا عرد السود التنابيل

وقوله يمشون مشي الجمال اي كمشي الجمال والزهر بضم الزاي المعجمة وسكون الها جمع ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم اي يمنعهم والمراد انهم يمنعون انفسهم من العدو عند اللقا ويصبرهم له وقوله عرد بفتح العين وتشديد الرا المهملة المفتوحة ودال مهملة في الاخر معناه فر او اعرض ويروي عرد بفتح العين المعجمة قال التبريزي هو التطريب بدلا من الطرب قال ابن هشام في شرحه ولا معنى لهذه الرواية والسود جمع اسود وهو اللون المعروف والتنابيل بفتح التا المثناة ثم نون والف بعدها

يا،

باء موحدة مكسورة وياء مثناة ساكنة ولام وهي جمع تنبال والتنابيل القصار والمفرد تنبال والتا فيه زايدة وهو احد ما جا من الاسما علي تفعال بالكسر كالتمسال والاكثر تسمح بالقصر والتبراز والتعشار الموضعين والتلقا والتقصار للقلادة المشبهة بالمخنقة ويقال تقصارة ايضا وجمعها تقاصير واذا كان التفعال مصدرا فهو بفتح الاول كالتجوال والتطوال الا كلمتين التبيان والتلقا قال الله تعالى تبيانا لكل شي ويقول الفقيه تلقا اي لقا وقوله تعالي تلقا اصحاب النار فهو من باب الاسما وانتصابه علي الظرفية وقد حكي بعضهم قوله

وما زال تشراب الخمور ولذتي   وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

بكسر التا والله اعلم بالصواب

البيت السابع والخمسون

لا يقع الطعن الا في نحورهم   وما لهم عن حياض الموت تهليل

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقع الطعن في ظهورهم بل يقدمون علي اعدائهم فيقع الطعن في نحورهم روي انه لما انشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الي من كان في حضرته من قريش ان اسمعوا ومثل هذا البيت قول الحصين ابن الحمام

تاخرت استبقي الحياة فلم اجد   لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا علي الاعقاب تدمي كلومنا   ولكن علي اقدامنا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال اعزة   علينا وهم كانوا اعق واظلما

يروي تقطر بالتا المثناة من فوق فالدم اما مفعول به لانه يقال قطر الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز علي ان الالف واللام زايدة كقوله

رايتك لما ان عرفت وجوهنا   صددت وطبت النفس يا قيس عن عمرو

ويروي باليا المثناة من اسفل فالدما فاعل استعمله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه في التثنية دميان قال الشاعر

فلو انا علي حجر ذبحنا   جرى الدميان بالخبر اليقين

ولكن الاستعمال علي الكثر محذوف لامه في الافراد والتثنية وقوله تهليل مصدر هلل عن الشي اي تاخر عنه يقول لا يتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل فان كان مصدرا فقد مضى المقبول في نفيه ذلك مرة والله اعلم والحمد لله وحده وصلى الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم تم شرح بانت سعاد بعون الملك الجواد وقد كان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الثلاثا

52 foll.

ثاني والعشرون من ربيع الثاني من شهور سنة ستة عشر ومايتين
والف احسن الله ختام علي يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي
عفو ربه القدير الحاج حسن ابن المرحوم الحاج رجب الشهير بالدهمي غفر
الله له ولوالديه ولمن قرا فيه ونظر اليه وتامل معانيه فلا تنسي كاتبه من الفاتحة
ختم الله لي ولكل المسلمين بالاعمال الصالحة انه غني حميد فعال لما يريد
وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين امين امين
امين
م

[illegible]

BIBL.
UNIVERS.
LIPS.